



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



نقد محمد عمارة للحضارة الغربية الحدث " أنموذجا "

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة إسلامية

المشرف:

د - جمال الأشراف

إعداد الطالبين:

جمال مراد

محمد الكامل قادري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د أحمد عامر باي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د جمال الأشراف	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا
د عمارة نصيرة	أستاذ محاضر "ب"	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2021-2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ {سورة لقمان الآية 12}

نتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور جمال الأشراف الذي لم يبخل علينا بالنصح والإرشاد، رغم مشاغله المتراكمة وصبره معنا طيلة فترة البحث.

إلى كل الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم وملاحظاتهم المنيرة طيلة السنة الدراسية.

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة فلهم منا كل عبارات الشكر والتقدير.

و كل من ساعدنا من قريب أو بعيد طيلة إعداد هذه المذكرة فشكرا للجميع.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني رغم جميع الصعوبات.
أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى من أفنى حياته من أجل تعليمي
وبسببه أنا أكمل مشواري الدراسي والذي ساعدني لكي أصل إلى ماأنا
عليه اليوم أبي أطال الله في عمره.
وإلى التي ربت وسهرت وكافحت من أجلي في جميع الظروف ومختلف
الأوقات أُمي رعاها الله وحفظها لنا.
إلى زوجتي الغالية التي ساعدتني في أيامي وكانت لي عضدا في السراء
والضراء، إلى فلذات كبدي أبنائي الأعزاء إلى إخوتي وأخواتي.
وإلى كل من علمني حرفا منذ مساري التعليمي وإلى كل من ساعدني في
إتمام هذه المذكرة.

جمال مراد

إهداء

الحمد لله واسع الجودِ و المنِ والفضلِ والكرمِ، على إتمام هذه العمل

وبعد:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى روح أبي الطاهر سيدي الطالب موسى رحمه الله وإلى من أفنى حياته من أجل تعليمي وكان سبباً بعد الله في نجاحي وتوفيقي في هذه الحياة. والتي ربت وسهرت وكافحت من أجلي في الليالي الكالحات وتكدت عناء وتعب السنين أُمي رعاها الله وأدام عزها وحفظها لي.

إلى زوجتي الكريمة التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل وكانت لي عضداً وسنداً إلى فلذتي كبدي زيد رعاها الله إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء. وإلى معلمي الذي علمني منذ مساري التعليمي أجزل الله له المثوبة والعطاء وإلى كل من ساعدني في إتمام هذه المذكرة.

محمد الكامل قادري

الملخص

كان موضوع مذكرة تخرجنا لهذا العام بعنوان (نقد محمد عمارة للحضارة الغربية- انموذجا) والذي تحدثنا فيه عن دخول الحادثة الغربية الى الوطن العربي عن طريق بعض الاتجاهات والتيارات الغربية كالماركسية والشيوعية والبعثية هذه الحركات التي ظهرت بين (1930-1980) والتي كان لها تاثيرا كبير على وسائل الاعلام والمجتمع العربي تشجع على الثورة ضد التراث والتمرد على المألوف والسائد والمعروف، وكان من بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أسبابا شخصية وأخرى موضوعية ذكرناها في المقدمة، وتناولنا في العرض مجموعة من النقاط التي تعتبر أهمية للموضوع منها ما كان سببا مباشرا في انتقال الحادثة من العالم الغربي الى العالم العربي ومنها ما كان متخفيا تحت ظل المطالبة بالحريات والتحررات للمرأة مثلا واعتمدنا في البحث المنهج التحليلي النقدي لانه كان يتناسب وطبيعة الموضوع، فنتبعنا مراحل النقد والاسس المنهجية التي استخدمها الدكتور محمد عمارة. وطرحنا الإشكالية التالية :كيف استطاع الدكتور محمد عمارة ان ينقد الحادثة الغربية ويبين سلبياتها على المجتمع العربي والإسلامي كما ختمنا موضوعنا بمجموعة من النتائج و التوصيات التي تعرضنا اليها كي يتسنا للقارئ الولوج في كتابات لاحقة وبحوث أخرى جارية . كانت هذه حوصلة مختصرة لما قدمناه في بحثنا .

الكلمات المفتاحية: محمد عمارة- الحادثة - العلمانية- الماركسية

Abstract

Entitled "Mohamed Amara's Criticism of Western Civilization—A Case Study," our dissertation discusses how Western modernity has entered the Arab world through certain Western movements and ideologies, including Marxism, Communism, and Baathism. These movements, which first appeared between 1930 and 1980, had a significant impact on Arab media and society, inspiring uprisings against traditional heritage and rebellions against the established, the dominant, and the known. We chose this topic for a variety of objective and personal reasons, which will be addressed in the introduction. In the body, we covered a wide range of issues that are considered essential to the discussion, such as the underlying causes of the Western focus on Arab women's freedom and emancipation and the direct causes behind the spread of modernity from the West to the Arab world. We chose the critical analytical approach in the study because it fits the nature of the subject. As a result, we used the theoretical framework and stages of criticism used by Dr. Muhammad Emara. The problem that we raised was this: how did Dr. Muhammad Emara manage to criticize Western modernity and highlight its detrimental effects on Islamic and Arab society? In order to give the reader access to other works and relevant research, we closed our topic with a collection of findings and suggestions.

Keywords: Western Modernity, Women's emancipation, Arab Society, traditional heritage, Western Civilisation

Keywords: Muhammad Emara, modernity, secularism, Marxism

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) سورة الأحزاب الآية 70-71 (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) سورة الصف الآية 8.

أما بعد :

ففي العصور المتأخرة من القرن التاسع عشر الميلادي أي ما بين 1883م و1980م تقريباً ظهرت بعض الاتجاهات المحاربة للأديان، أمثال الشيوعية والعلمانية والماركسية والبعثية وغيرها من التيارات الغربية، وبرزت وسائل النشر تحت اسم الحداثة وأصبحت تطالب (بالثورة على التراث) وضرورة تجاوز السائد والمألوف والتمرد على كل ما هو سابق ومعروف.

بل وُجد من يتكلم باسم الحداثة قادحاً بذات الله سبحانه ومستهزئاً برسله صلوات الله عليهم أجمعين مننداً بشرعه القويم ولكن من حكمة الله سبحانه أنه قيض لهذا الدين رجالاً عاهدوه على الذب عن الدين ونقد هؤلاء الحداثيين. ومن هؤلاء العلماء الحراس اليقظين والساهرين على حماية الدين وذب عنه نذكر على سبيل المثال المفكر والمجدد الأستاذ الدكتور محمد عمارة رحمه الله فقد عدَّ هذا القامة من الذين أسهموا في نقد الحداثة الغربية التي أراد أنصارها النيل من دين الإسلام، ومن هذا

المنطلق اخترنا أن يكون موضوع بحثنا بعنوان (نقد الحضارة الغربية عند الدكتور محمد عمارة -الحدث أنموذجا).

أولاً: الإشكالية الرئيسية :

وعليه فإن إشكالية هذه الدراسة الرئيسة هي :

-ماهي أبرز إنتقادات محمد عمارة للحضارة الغربية عامة والحادثة الغربية خاصة ؟

وللإجابة على هذا الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية :

- ما موقف محمد عمارة من الحضارة الغربية عامة والحادثة خاصة ؟

-وماهي المؤاخذات التي سجلها حول الفكر الحداثي عامة والفكر الحداثي في الدائرة العربية والإسلامية خاصة ؟

- ما هي أهم وأبرز النماذج الحداثية التي انتقدها محمد عمارة في الوطن العربي؟

ثانياً:أهمية الموضوع وأسباب إختياره :

يمكن أن نحصر ذلك في ما يلي :

أ- معرفة جذور الحداثة في الوطن العربي ومصادرها وأسسها؟

ب- كثرة الوسائل والمؤسسات التي تُعنى بنشر الحداثة والتتظير لها والدعوة إليها في العالم العربي.

ت- ادعاء بعض الحداثيين في بعض الدول العربية بخاصة أن الحداثة خاصة بالأشكال الأدبية، ولا علاقة لها بالعقيدة والأفكار فلزم الكشف عن ماهية الحداثة .

ث- جهل الكثير من الناس بالحداثة واستغلال هذا الجهل من قبل الحداثيين فثبتوا أفكارهم الحداثية بين صفوف الناس .

ج-تذبذب مواقف بعض المثقفين من الحداثة وتحيرهم في الحكم عليها بسبب عدم وجود دراسة عقديّة تظهر حقيقة الحداثة .

ح- ظهور دعوات منحرفة تنتسب إلى الحداثة تطالب بتحرير المرأة والمناداة بالثورة على الأنظمة العربية فلزم كشف ذلك حماية للأمة ولعل في كشف ذلك حماية لعقيدة الأمة وأخلاقها وأمنها ووحدتها.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب الذاتية :

الأسباب الذاتية التي دفعتنا لاختيار الموضوع هي:

أ- الميول الشخصية للدراسات النقدية وقد أتاحت لنا الفرصة من خلال هذا البحث.

ب- الرغبة في التطلع إلى موضوع الحداثة لجهل العديد من المثقفين بالموضوع.

ت- الإعجاب بشخصية "محمد عمارة وأسلوبه في نقد الحداثة الغربية.

-الأسباب الموضوعية: ومن الأسباب الموضوعية التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع :

أ- إعتبار موضوع الحداثة من الموضوعات الشائكة التي لها أهميتها في وقتنا الراهن خاصة مع التخلف الحاصل في العالم العربي والهيمنة الغربية وما ترتب عن ذلك من غزو ثقافي أدى إلى طمس الهوية العربية إضافة لتقديرنا لفكر محمد عمارة الذي يعتبر من أئمة الإصلاح والتجديد.

- ظهور دعوات منحرفة تنتسب إلى الحداثة تطالب بتحرير المرأة و المناداة بالثورة على الأنظمة العربية فلزم كشف ذلك حماية لعقيدة الأمة وأخلاقها وأمنها ووحدتها .

رابعاً: منهج الموضوع :

أما بالنسبة للمنهج الذي اعتمدنا عليه وسلكناه في معالجة مذكرتنا هو :
أ- المنهج التحليلي النقدي: كونه يتناسب مع طبيعة الموضوع، وذلك
بتتبع مراحل النقد والأسس المنهجية التي استخدمها الدكتور " محمد
عمارة".

ب- المنهج الوصفي: والذي استعملناه في بعض التعريفات، وعند وصف
الشخصية.

خامساً :

-الدراسات السابقة للموضوع :من الدراسات السابقة والقريبة من
الموضوع بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه لطالب محمد بن عبد العزيز بن
أحمد العلي بعنوان الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية .
-رسالة لنيل درجة الماجستير قسم العقيدة والفكر الإسلامي جامعة
الموصل بالعراق للطالب عمار وعد دعي علي بعنوان التيارات الفكرية
الغربية المعاصرة في كتابات الدكتور محمد عمارة .

سادساً: صعوبات البحث:

-من الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا اختلاف الرؤى الدقيقة في
تعريف الحداثة الغربية وكيفية نقدها لدى أقطاب الفكر الاسلامي.
-كثرة المراجع وتباين مضامينها مما أدى إلى تشتت وجهات نظرنا
وأفكارنا حول الموضوع .

سابعاً: خطة البحث:

وفي محاولة للإجابة عن الاشكالية المطروحة في بحثنا وضعنا خطة الموضوع التي تتألف من مقدمة ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة فتحتوي على العناصر المنهجية المطلوبة، حيث حددنا فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته وأهدافه، والصعوبات التي واجهتنا، ثم مسح للدراسات السابقة، والمنهج المتبع في انجاز البحث، والخطوات المنهجية، وأخيراً الخطة، وأما العرض فقد تضمن مبحثين وكل مبحث يندرج تحته مجموعة من المطالب و هي على النحو التالي:

ففي المبحث الأول: الذي كان بعنوان ضبط المصطلحات والمفاهيم الأولية وتناولنا فيه أربعة مطالب:

- ففي المطلب الأول ترجمة للدكتور محمد عمارة (مولده، نشأته، أعماله، وفاته) .
 - أما المطلب الثاني، فتضمن تعريفاً للحضارة الغربية وأهم ملامحها.
 - والمطلب الثالث فكان تعريفاً للحدثاثة الغربية وأسسها.
 - و المطلب الرابع فذكرنا نماذج من الشخصيات العربية الحدثاثة.
- وأما بالنسبة للمبحث الثاني: فكان بعنوان نماذج نقدية لأهم القضايا المعاصرة عند الدكتور محمد عمارة وتكلمنا فيه عن أهم القضايا الحدثاثة المعاصرة، كالعلمانية والماركسية والشبهات المعاصرة التي مست قضايا المرأة المسلمة عند الغربيين والحدثائين في العالم العربي والإسلامي وشبهات الحدثائين وموقفهم من النص الديني وقضية الدعوة للقطيعة مع الموروث الديني التي تطرق إليها الدكتور محمد عمارة بالنقد، وإيراد الحجج والبراهين على بطلان دعوة هؤلاء الشرذمة.

- وقد تضمن المبحث الثاني أربعة مطالب، وهي على النحو التالي:
- فالمطلب الأول كان بعنوان نقد الدكتور محمد عمارة للحضارة الغربية.
 - والمطلب الثاني بعنوان نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية.
 - والمطلب الثالث نقد لشبهات حداثية حول مكانة المرأة في الإسلام
 - والمطلب الرابع بعنوان نقد محمد عمارة للداثيين في موقفهم من النص الديني.

حيث لمسنا من خلال هذه المطالب، وإطلاعنا على جملة مما كتبه من كتب ومقالاتٍ وحصص تلفزيونية ومناظرات، صدق وإخلاص الرجل في ما قدمه للأمة الإسلامية، في كشف شبهات الغرب ودحض عراهم وأزلامهم من دعاة الحداثة في عالمنا العربي والإسلامي، الذين سعوا لإشاعة الشبهات والدعاوى الباطلة في أوساط المجتمع المسلم، تحت مسميات عديدة كحرية الرأي، وحرية المعتقد والفكر، وتاريخانية النص الديني وبشرية الوحي والنبوة، تأثراً بفلاسفة الغرب ومفكريهم، حيث يفهم القارئ والدَّارِسَ من خلالها مدى الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، ودعوة هؤلاء الحداثيين الصريحة، للقطيعة مع الموروث الديني، بدعوى عدم مواكبته للعصر وضرورة التجديد والحداثة.

- فكانت ملاحظتنا، وتعقيباتنا، مؤيدة و موافقة للمشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، وهذا شيء طبيعي نابع من حرصه الشديد، ويقظته في حماية الدين والذِّبِ عنه من شبه وتحريفات الغالين والمُبْطِلِينَ من الحداثيين، فمن خلال نقد الدكتور محمد عمارة للحداثة الغربية عموماً والداثيين في عالمنا العربي والإسلامي خصوصاً، نجد أنه استطاع أن يبين ويوضح للأمة العربية والإسلامية خاصة، تأثير العقل والفكر الغربي

على بعض العقول الدونية العربية والإسلامية، حيث جعلوا منهم آلة تحذوهم حذو النعل بالنعل، وانسلخوا من فطرتهم التي فطرهم الله عليها وتبرؤوا منها، وحاولوا أيضا التأثير بسمومهم على عامة المجتمع، برمي وتلفيق الشبه حول، الشريعة الإسلامية وحقوق المرأة وحريتها وطبيعة ومصدر النص القرآني وتلقيه، بشرية الوحي والنبوة ..إلخ، وهذا هو المشروع الذي كرّسَ الدكتور محمد عمارة رحمه الله تعالى حياته من أجله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات

المطلب الأول: ترجمة الدكتور محمد عمارة.

المطلب الثاني: تعريف الحضارة الغربية وأهم ملامحها .

المطلب الثالث: تعريف الحداثة الغربية وأسسها.

المطلب الرابع: نماذج من الشخصيات العربية الحداثية .

المطلب الأول: ترجمة للدكتور "محمد عمارة":

توطئة:

يعتبر الدكتور محمد عمارة من بين كبار المفكرين والمؤلفين والمحققين لكتب التراث الإسلامي، ومن كبار الأعضاء بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذين اهتموا بنقد الحضارة الغربية وأفكارها ومناهجها نقداً وتحليل أو تنظيراً في كل أعماله حيث أفرد لها جملة من الكتب والأبحاث والدارسات، ويمكننا تصنيفها ضمن خانة المشروعات الفكرية الإسلامية الإصلاحية والتي سلكت في الغالب توجهها مضاداً للحضارة والحدثة بالمفهوم الغربي. فمن هو محمد عمارة وماهي أبرز أطروحاته الفكرية وأعماله؟.

الفرع الأول: مولده ونشأته:

ولد المفكر الإسلامي محمد عمارة مصطفى عمارة بريف مصر ببلدة صروة، مركز قلين محافظة كفر الشيخ في 27 من رجب 1350هـ الموافق لـ 08 ديسمبر 1941م في أسرة ميسورة الحال، تحترف الزراعة وملتزمة دينياً.

- قبل مولده، كان والده قد نذر الله تعالى: إذا جاء المولود ذكراً، أن يسميه محمداً وأن يهبه للعلم الديني (أي يطلب العلم في الأزهر الشريف). حفظ القرآن وجوّده بكتاب القرية، مع تلقيه للعلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية في مرحلة التعليم الإلزامي.

في سنة 1364هـ/1945م، إلتحق بمعهد دسوق الديني الابتدائي التابع للجامع الأزهر الشريف ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة 1364هـ/1949م.¹

-وفي المرحلة الابتدائية، في النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين، بدأت تتفتح وتنمو إهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية والثقافية، فشارك في العمل الوطني (قضية إستقلال مصر -القضية الفلسطينية) من خلال الخطابة في المساجد، والكتابة نثراً وشعراً، وكان أول مقال له نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد) عن فلسطين في أبريل 1948م- وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية، لكن لم يكن له شرف الذهاب للجهاد في أرض فلسطين.

-في سنة 1949م التحق بمعهد طنطا الأحمدى الديني الثانوي التابع للجامع الأزهر الشريف، ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة 1373هـ/1954م.

-واصل في مرحلة الدراسة الثانوية إهتماماته السياسية والأدبية والثقافية، حيث نشر له شعراً و نثراً في العديد من الصحف و المجلات مثل (مصر الفتاة) و (منبر الشرق) و (المصري) و (الكاتب).

-في سنة 1374هـ/1954م التحق (بكلية دار العلوم) جامعة القاهرة، وفيها تخرج، ونال درجة (الليسانس) في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ولقد تأخر تخرجه، بسبب نشاطه السياسي إلى سنة 1965م بدلا من سنة 1958م.²

¹ - الدكتور محمد عمارة ، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي- مكتبة الشروق الدولية القاهرة مصر - ط 1 سنة 1427هـ/أكتوبر 2006م ص 89.

² - المصدر السابق ص 90.

أخلاقه:

من خلال دراستنا لهذه الشخصية الفريدة في عصرها وزمانها، والحارس اليقظ على عرى الإسلام كما قال العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، يتبين لنا أنه عاش حياةً بسيطةً لم يطلب من الدنيا مغام ولم يلهث وراء منصبٍ أو جاهٍ وإنما كان همه الدفاع والذود عن عرى الإسلام، بما يملكه من أخلاق رفيعة وسمّةٍ و تواضعٍ في قبول الحق، فإنبرى يحمل مشعل الجهاد بقلمه وفكره ضد الحضارة الغربية وأفكارها بكل ما تحمله محتوياتها من هدم للأخلاق والقيم والثوابت وركائز المجتمع المسلم.

- يقول أحد تلامذته: (لقد زرتَه أثناء إعدادي رسالتي للماجستير منذ أكثر من عشر سنوات في منزله في 36 شارع الزيتون في القاهرة، فوجدت الرجل الذي ملأ الدنيا كتبًا ومقالاتٍ وأحاديثٍ في القنوات والمؤتمرات، وقوة وحجة في المناظرات بسيطاً جداً متواضعاً في غير تكلف، ما إن قلت له إني من دسوق حتى قال في تواضع ما معناه بالفصحى: "نحن إذن من بلد واحد".

لمست فيه خلقاً رفيعاً لا تجده كثيراً عند أمثاله، وكان يتحدث معي كصديق وأخ كأن بيننا مودة قديمة دون أن أشعر بشيء يفصل بيني وبينه، وأن السنوات التي بيننا أذابها أدبُهُ وخلقه الرفيع، وأن علمه الغزير تركه وراء ظهره، وأقبل عليّ بطلاقة وجهه، والمهابة التي تمتلك أي إنسان عندما يقابل أحد أعلام الفضائيات لا وجود لها في عالمه، إنك عندما تجالسه وتتكلم ينصت باهتمام فتظن أنك أضفت إليه شيئاً لا يعلمه، وهو البحر الذي استوعب الثقافتين الإسلامية والغربية، يجلس معك كما تشاء دون أن يشعر أنك مشغول بغيرك، حتى تظن أنه ليس هو الذي تراه على الفضائيات

والمؤتمرات، إنك في روضة فيحاء، تخرج من عنده، فتكتسب أخلاقاً لم يكلمك عنها تشعر حقيقة أنك سعيد، وأن سعادة كلا يمكن أن تُقدر بثمن، إنه يعيش حياة بسيطة في بيت تجرد من الدنيا، بيت غني بالعلم والمعرفة والراحة والسعادة، مليء بالدفء والحنان الأسري، إنه يملك كنزاً لا يملكه ملوك الدنيا، وإن كثرت خزائنها واتسع ملكهم، وزاد حُرَّاسُهم، حقيقة لو أراد المناصب والمال لنال منها ما تشتهي نفسه وتتمنى، لكن نفسه لا تطلب غير رضا الله، ومن يطلب رضا الله لا يلتفت لعرض الدنيا ورضا الناس وسخطهم عنده سواء).¹

نشاطاته الفكرية:

من خلال دراستنا لهذه الشخصية الفذة، وكما تحدث الدكتور محمد عمارة عن نفسه، أن أول إرهاصات نشاطه الفكري وعلاقته بالكتب، بدأت بشرائه لأول كتاب في حياته وهو "النظرات" لمصطفى لطفي المنفلوطي ليكون نواة لمكتبته الخاصة التي سرعان ما ضمت أربعة آلاف كتاب، إثر ابتياعه بالتنقيط مكتبة عظيمة جمعها الشيخ الأزهرى عبد التواب الشناوي وتوفي عنها في سنة تخرجه، وفي هذه المكتبة قرأ عمارة ألواناً من العلوم الإسلامية وتعرف على "كنوز من الفكر" ضمت عيون أمهات كتب الفقه الإسلامي والتصوف وذخائر الآداب العربية ودواوين الشعر، إضافة إلى أعرق المجالات التاريخية كمجلة الرسالة ومجلة الأزهر ومجلة العروة الوثقى، والمترجمات عن الفكر الغربي، وقد أكسبته هذه الثقافة في وقت مبكر قدرات كبيرة في الكتابة والخطابة في المسجد.

¹-مقال الكتروني بعنوان العالم الجليل د محمد عمارة الحارس الأمين لثغر الفكر الإسلامي: <https://www.ikhwan.online/article>

-في سنة 1947م، حمي الوطيس حول معركة قضية فلسطين فمارس عمارة الخطابة في المساجد ضد اليهود و دفاعا عن قضية فلسطين، وكتب 1948م أول مقال في حياته دفاعا عن المجاهدين في فلسطين.

-انضم محمد عمارة وهو شاب إلى حزب مصر الفتاة، الذي نشأ في ثلاثينيات القرن العشرين، وعُرف بتوجهه العروبي الثوري، في الدفاع عن العرب ومحاربة الاستعمار والإقطاع، ثم تحول في سنة 1949م إلى الحزب الاشتراكي، بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب 1948م مع إسرائيل، وهو الحزب الذي كانت فلسفته تقوم على أن الاشتراكية أساسها الدين وأن العبادة أكثر تتجلى في خدمة الشعب.¹

وبعد حركة الضباط الأحرار التي أطاحت بالملكية في مصر يوم 23 جويلية 1952م والتي ألغيت فيها الأحزاب السياسية في سنة 1953م، فالتحق عمارة بالاتجاه اليساري الذي كان قد ناضل فيه سابقا نحو عقد من الزمن، وفي سجنه 1959-1964م بدأ مراجعات فكرية قادته في النهاية إلى مغادرة المعسكر اليساري والانخراط في الاتجاه الإسلامي.²

من خلال استقراءنا وتتبعنا لمراحل نشأته، يتضح أن تغيره كان وليداً لحركيته وحيويته وسعة نظره، فلقد تواصل في مرحلة الدراسة الجامعية نشاطه الوطني و الأدبي والثقافي فشارك في المقاومة الشعبية، بمنطقة السويس، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة 1375هـ/1956م.

¹ - محمد عمارة، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص 90

² - مقال بعنوان الدكتور محمد عمارة موقع قناة الجزيرة

بتاريخ 2015/09/22 <https://www.aljazeera.net>

- ونشر المقالات في صحيفة (المساء) المصرية ومجلة (الآداب) البيروتية وألف ونشر أول كتبه عن (القومية العربية) سنة 1958م.¹

- وبعد التخرج من الجامعة، أعطى كل وقته تقريبا وجميع جهده لمشروعه الفكري.

فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوي و جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبدالرحمان الكواكبي وعلي مبارك وقاسم أمين، كما اهتم بالدراسة والكتابة عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا والشيخ محمد الغزالي وعمر مكرم ومصطفى كامل وخير الدين التونسي ورشيد رضا وعبد الحميد ابن باديس ومحمد الخضر حسين وأبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب والشيخ محمود شلتوت... الخ.

ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو ذر الغفاري وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل غيلان الدمشقي والحسن البصري وعمرو بن عبيد والنفس الزكية محمد بن الحسن وعلي بن محمد والماوردي وابن رشد الحفيد والعزبن عبد السلام... الخ.

- وتناولت كتبه التي تجاوزت المائة والثمانين كتابًا، السمات المميزة للحضارة الإسلامية والمشروع الحضاري الإسلامي والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية وتيارات العلمنة والتغريب وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي والعقلانية الإسلامية، كما حاور وناظر العديد من

¹ - الدكتور محمد عمارة ، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص 91

أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة(وهذا من خلال تتبعنا لمناظراته مع نوال السعداوي والدكتور نصر أبوزيد الشيوعي في برنامج الاتجاه المعاكس على قناة الجزيرة و مناظرته مع كمال زاخر على قناة الحياة المصرية).

-ولقد حقق العديد من نصوص التراث الإسلامي القديم والحديث. وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري.

- حصل من-كلية دار العلوم في العلوم الإسلامية-تخصص فلسفة إسلامية على الماجستير سنة 1390هـ/1970م بأطروحة عن(المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية) وعلى الدكتوراه سنة1395هـ/1975م بأطروحة عن (الإسلام وفلسفة الحكم).

- أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي وخارجه، كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة مثل: موسوعة السياسة وموسوعة الحضارة العربية و موسوعة الشروق وموسوعة المفاهيم الإسلامية والموسوعة الإسلامية العامة وموسوعة الأعلام...إلخ.¹

*نال عضوية العديد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية منها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر و المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن ومركز الدراسات الحضارية بمصر و المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت بالأردن ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

¹ - الدكتور محمد عمارة ، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص91

*حصل على العديد من الجوائز و الأوسمة والشهادات التقديرية والدروع منها: جائزة جمعية أصدقاء الكتاب بلبنان سنة 1972م، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة 1976م و وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بمصر سنة 1976م وجائزة على وعثمان حافظ -الفكر العام- سنة 1993م، ووسام التيار القومي الإسلامي القائد المؤسس سنة 1998م وجائزة أحمد كانو- للدراسات الإسلامية بالبحرين سنة 2005م.

*ترجمت العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية مثل : التركية والمالوية والفارسية والأوردية والإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والألمانية والألبانية والبوسنية .

مراجعاته الفكرية من الفكر الماركسي إلى التيار الإسلامي :

من خلال تتبعنا لمسار حياة ونشأة المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد عمارة، ونشاطه الأدبي والثقافي والجمعي والسياسي، يتضح لنا ويتبين أننا أمام شخصية فذة، تتعايش وفق الظروف الزمنية التي مرت بها المنطقة، فأرض الكنانة كانت تئنُّ تحت وَطْأة الانتداب البريطاني، والنظام الملكي الإقطاعي كان سائداً في مصر، بكل ما يحمله من ظلم وقهر ومعاناة للطبقة الكادحة والفقيرة من العمال البسطاء والفلاحين، مما جعل الدكتور محمد عمارة ينضم إلى الاتجاه الذي يدعوا إلى الحرية والمساواة والعدالة ويدافع عنها، فأعلن التمرد على الظلم الاجتماعي الذي كان سائداً، فتنبنى الفكر الماركسي الاشتراكي كتقافة عصرية وليدة في عصره، وذلك أثناء فترة دراسته في كلية دار العلوم، ولا يرجع تبنيه للفكر الماركسي الاشتراكي، من منطلق عقائدي أو إيماناً بالفكرة وقبولاً لها حشاه وهو الذي تربى في كُتَّاب القرية على حفظ القرآن الكريم و وُلد في أسرة ملتزمة دينياً وإنما كان هذا

كونه، مناضلاً يتعايش مع مشكلاته اليومية ضد القهر والظلم الاجتماعي الإقطاعي في الريف المصري بالإضافة إلى ارتباطه بتنظيمات حزبية قومية ثورية تحررية كحزب مصر الفتاة، التي ساهمت فيما بعد في إنضمامه للحركات اليسارية التي تركز على قضية العدل الاجتماعي، دون إثارة قضية الدين ولا التفسير المادي للكون، وكون الفكر الماركسي آنذاك يحمل أفكاراً بكرةً وشعارات براقية، تملعُ بمعاني الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية في تقسيم الثروات، وإنعتاق الشعوب المستضعفة من نيران الظلم والاستعمار الإمبريالي، ولم تتضح الرؤية لهذا الفكر بعد، فمن هنا استندنا إلى أن المفكر الكبير والدكتور محمد عمارة لم يكن إنضمامه من منطلق ديني أو عقدي بتبني الفكر الماركسي الاشتراكي في جميع أسسه ومبادئه التي يقوم عليها كالمادية مثلاً.

فهو يذكر رحمه الله أنه بالرغم من إعجابه وانبهاره بالفكر الماركسي وإيجابياته، إلا أنه اتضحت له في ما بعد سلبياته ومساوئه وأنه يبقى كوافد غربي يخالف مرجعيتنا الإسلامية، بل هو فخ وشر على حضارتنا، ومن هنا يقول حسمت رأبي على مغادرة اليسار الإسلامي وأنه ليس المكان الطبيعي لي وبدأت تتبلور لدي قضية الاستقلال الحضاري الذي يميز هويتنا العربية الإسلامية.

وفي هذا يقول الدكتور محمد عباس (أن محمد عمارة واحداً من كوكبة لامعة صادقة هداها الله فانتقلت من الفكر الماركسي إلى الإسلام، وكانت هذه الكوكبة هي ألمع وجوه اليسار فأصبحت ألمع وجوه التيار الإسلامي ودليلاً

على أن خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، وهذا من خلال مسيرته الفذة وجهاده بلسانه وقلمه).¹

- ومنذ السبعينات بدأ الطرح الإسلامي يطغى على مواقف وفكر الدكتور محمد عمارة حتى صار يحسب على الإسلاميين المستقلين وقد مكنه استقلاله هذا من توجيه انتقادات عديدة للحركة الإسلامية كما أن المسافة التي تفصله عن حركة الإخوان المسلمين وتقاطعها الفكري معهم في الوقت نفسه كل ذلك جعله يحظى بتقّتهم.

وفي ذلك يقول هو: "وأنا أعتبر الإخوان أكبر حركة من حركات الإسلاميين وفي ظل التشرذم في الحركة السياسية وفي الأحزاب ليس لدينا رصيد في الشارع إلا الإخوان، ومع ذلك أنا كتبت نقداً للحركات الإسلامية بشكل عام ومنهم الإخوان، ورغم ذلك أعتبر أن الإخوان رصيد كبير يجب ألا نفرط فيه".

- ناصر عمارة ثورة 25 يناير 2011م، التي أطاحت بنظام حسني مبارك، و وصفها بأنها ثورة شعبية من أعماق الثورات الشعبية، التي عاشتها مصر في العصر الحديث وهي ملحمة كشفت المعدن الحقيقي لهذا الشعب الأصيل.

كما رفض الانقلاب العسكري على الرئيس المدني المنتخب محمد مرسي يوم 03 يوليو 2013م وأصدر بياناً واضحاً طالب فيه بالعودة إلى المسار الديمقراطي واحترام إرادة الشعب بعودة الجيش إلى ثكناته، واعتبر في مقطع مصور أن عزل مرسي "باطل شرعاً وقانوناً هو وكل من ترتب عليه وهو

¹ - موقع معرفة، آخر تعديل بتاريخ 2020/03/03م على الساعة 13:06 <https://www.marefa.org>

الموقف الذي أثار عليه هجمة شرسة من وسائل الإعلام والدوائر المؤيدة للانقلاب.¹

- من أهم مؤلفاته:

- كتاب التيار القومي الإسلامي سنة 1992 بدار الشروق، والأصولية بين الغرب والإسلام سنة 1997، والجامعة الإسلامية والفكرة القومية سنة 1994، والشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية سنة 2002، ومعركة المصطلحات بين الغرب والإسلام سنة 1998 بالقاهرة، الغرب والإسلام سنة 1998، وسقوط الغلو العلماني سنة 2002 والإسلام والعروبة والعلمانية سنة 1981...

كما تطرق إلى موضوع العولمة ونجد ذلك في مؤلفاته: خطر العولمة على الهوية الثقافية سنة 1999، ومستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية سنة 2000 م، والعروبة في العصر الحديث سنة 1994، دار الوحدة... إلخ.

كما اهتم بالمرأة ومن مؤلفاته في ذلك نجد: في التحرير الإسلامي للمرأة، كتاب الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده سنة 1997. ومن مؤلفاته في السياسة وحقوق الإنسان نجد: الإسلام والسياسة الرد على شبهات العلمانيين سنة 1998، الإسلام وفلسفة الحكم سنة 1998 والإسلام وحقوق الإنسان سنة 1989.²

¹ - موقع قناة الجزيرة بتاريخ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/9/22>

² محمد عمارة، هذا هو الإسلام، ط 1، سنة 1426 هـ، ديسمبر 2005 م، مكتبة الشروق الدولية مصر ص 165 .

- أهم أعماله:

أ-دراسة وتحقيق:

-الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت سنة 1983 م.

-الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1979 م.

-رسائل العدل والتوحيد، الإمام محمد عبده دار الرشاد، القاهرة، 1996 م.
-الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده، دار الرشاد، القاهرة، سنة 1997 م.

-فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد، دار المعارف، سنة 1999م

ب- مناظرات:

-أزمة العقل العربي، دار نهضة مصر، القاهرة سنة 2003 م.
-المواجهة بين الإسلام والعلمانية، دار الآفاق الدولية، القاهرة سنة 1413 هـ.

-تهافت العلمانية، دار الآفاق الدولية القاهرة سنة 1413 هـ¹.

ج- بالاشتراك مع الآخرين :

-الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية، الكويت، سنة 1989 م .
-القرآن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1976 م .
-عمر بن خطاب، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، سنة 1973 م.

¹-المصدر السابق، ص 165.

-محمد عمارة، البرامج التاريخية وتحديات الواقع المعاصر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة، الأولى 1465 هـ 2005 م.

وفاته:

- توفي الدكتور محمد عمارة في مساء يوم الجمعة 28 فبراير سنة 2020م، حيث أعلن ابنه عن وفاته، بعد فترة من المرض دامت ثلاثة أسابيع حيث اقيمت صلاة الجنازة على الفقيد بعد صلاة الظهر من يوم السبت 29 فبراير 2020م، بمسجد الحمد بالتجمع الخامس بجوار مجمع المحاكم، وقد وُوري الثرى في بلدته "صروة" مركز قلين بمحافظة كفر الشيخ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.¹

شهادات في حق الفقيد:

بالرغم مما قيل في الدكتور محمد عمارة إلا أنه ظل شامخاً بإيمانه وقلمه، واشتهر بحرصه على الدفاع عن الإسلام والقيم ومقدسات الأمة والمعطيات الإسلامية، وللأسف الشديد فمنهم من ألف مجلدا ضخما يزيد على سبعمئة صفحة وكله في تجريح الدكتور محمد عمارة فكرا وعقيدة إلى التكفير و وصفه بصفات التحريف، والكذب، واللبس، والتناقض وشبهه بالجهمية وهي طائفة مارقة عن الإسلام ولكن الدكتور لم يرد على سطر من سطور فمثله كمن قال فيه الشاعر:

ما يضيّرُ البحرُ أمسى زائراً *** أن رمى فيه غلامٌ بحجرٍ
- نعاه الأزهر الشريف في بيان جاء فيه: رحيل الدكتور محمد عمارة ترك فراغا يصعب ملؤه في صفوف كبار العلماء الذين يحملون على عاتقهم

¹-الدكتور محمد محمود كمالو الحارس اليقظ على تراث الإسلام الأستاذ الدكتور محمد عمارة د. ط دار المجد 1441هـ، 2020م، ص 18

أمانة العلم، وصدق الكلمة، وأن التاريخ سيظل يذكر فقيد الأزهر والأمة العربية والإسلامية بعلمه وفكره الوسطي في تبليغ رسالة الله والدفاع عن سماحة الإسلام ووسطيته وإعلاء شأنه، ودحض ما أثير عنه من شبهات تشهد على ذلك مصنفاته المملوءة علما وحكمة ومعرفة، وإسهاماته الكبرى في إثراء الفكر الإسلامي، والتي ملأت الدنيا وغطت كل القضايا الفكرية العامة والمعاصرة، ومحاضراته التي استفاد منها الآلاف من طلاب العلم في العالم الإسلامي.

كما نعاه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وأكد أن المفكر الإسلامي أسهم بدور كبير في خدمة العلم وأهله، كما أنه حقق لأعمال أبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة، وله عشرات المؤلفات العلمية التي أثرت المكتبات بمضامينها النافعة.

- وصفه الدكتور يوسف القرضاوي في حفل تكريمي لعمارة أقامه مركز الإعلام العربي عام 2010 بأنه {{أحد مجددي القرن الخامس عشر الهجري، الذين هياهم الله لنصرة الدين الإسلامي من خلال إجادته منهج التجديد والوسطية، وصولاته وجولاته القوية في تعرية أعداء الإسلام}} وكتب عنه الدكتور يوسف القرضاوي كتابا أسماه: الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام، وهو وصف عظيم معبر عن شخصية الدكتور عمارة ورسالته الفكرية.

- أما الدكتور الغنوشي التونسي فاعتبره كاسحة ألغام أمام الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية، فهو شديد البأس على أعداء الإسلام من العلمانيين الإستئصاليين، وهو فحل في هذا المجال، وعون لكل باحث في الفكر

الإسلامي ولكل شاب يريد أن يطلع على الإسلام في موارده الصافية، وأنا أعتبر نفسي تلميذا من تلاميذه في جوانب كثيرة. وقد وصفه وصفي عاشور أبو زيد بأنه: {علم الأعلام وحجة الإسلام، وكاسحة الألغام التي تكسح الفكر التغريبي، وتكسر صناديد العلمانية المنسلخين عن عقيدتنا وشريعتنا وحضارتنا¹. ورثاه الشاعر المبدع جميل جانودي، بقصيدة مائة متعه الله بالصحة والعافية، فقال:

معي عصي لا يسئل سراعاً *** ويصير نهراً إن فقدت يراعاً
عيني همت تبكي عميدا قد مضى *** لبي نداء حبيبه وأطاعاً
تبكي فتى أفنى الحياة لدينه *** بنى حصونا للهدى وقلاعاً
بكى الذي للحق كان مؤيداً *** من أجله بذل الحياة دفاعاً
تبكي عمارة عالما ومعلماً *** لسفينة الإسلام كان شراعاً
ملك الحوار وسيد في ساحه *** ماذل حق عنده أو ضاعاً
هتك الستارة إذ تخفى خلفها *** من كان متخذ النفاق قناعاً
لم يخش لومة لائم من ظالم *** لا لم يكن لمقاله سماعاً
لم يلق سيفاً سله بشجاعة *** في وجه من لضميره قد باعاً
في وجه من هم مرجفون تسابقوا *** في أن يكونوا للهوى أتباعاً
قد كان سداً ضد هجمات العدا *** للشر كان محارباً مناعاً
ما مد كفا للطغاة تزلفاً *** ما كان في هذي الدنى طماعاً
شهد الأنام له بعفة نفسه *** ما كان فيها يرجو درهما ومتاعاً

¹-المصدر السابق ص 19

شهد الأنام بأنهم قد أبصروا*** لجهاده في كل ناح باعا
وعلومه كانت منارا للدنى***نشر الحقيقة في الورى وأذاعا
لله درك يا عمارة بانيا*** صرح الهدى وسواه منك تداعى
ما كان أفصح منك في دفع الأذى***أقمت صاحب فتنة خداعا
يا وردة قطفت وطاب أريجها***في كل ناح مسكها قد شاعا
يا شجرة قد أثمرت ورحيقها***للظامئين مذلا مطواعا
لبيت ربك راضيا متبسما*** ترجوه من نعمائه أنواعا
فعليك رحمة خالقي يا سيدي *** ما فاح مسك يا أخي أو ضاع¹.

وأخيرا رحم الله الدكتور محمد عمارة فقد ترك تراثا ضخما ومنبعا
منيرا خصبا في شتى مناحي الفكر والترجمة للأعلام، لذا ندعو الباحثين
والدارسين الى الكتابة عنه في رسائل جامعية ماستر دكتوراه و إقامة الندوات
والمنتديات والمؤتمرات عنه و عن أفكاره وتعريف الأجيال بسيرته ومسيرته
في عكوفه على العلم وانقطاعه لمشروعه الفكري رحم الله الدكتور محمد
عمارة فقد مات في هدوء ورحل في سكينه، وخلف وراءه منهجيته في الكتابة
والفكر التي سماها الوسطية الجامعة، حيث تربي على مدارس متعددة وأخذ
منها أصغر ما فيها.

لم يحمل في صدره شيء على أحد حتى الذين آذوه وناصبوه العدا،
حتى الذين ناظرهم وناظروه يخاطبهم بمنتهى التقدير والاحترام، يركز على
الفكرة لا على الشخص، ويناقش الموضوع لا صاحبه.

¹ - الدكتور محمد محمود كمالو الحارس يقظ على تراث الإسلام الأستاذ الدكتور محمد عمارة د. ط
دار المجد 1441هـ، 2020م، ص 20

اللهم تغمد فقيدنا وفقيد الأمة جمعاء برحمتك وأرزقه الفردوس الأعلى من جنتك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الثاني :

تعريف الحضارة الغربية وأهم ملامحها.

المطلب الثاني: تعريف الحضارة الغربية وأهم ملامحها

مما نلاحظه اليوم أننا في عصر اشتد فيه النزاع وبدأ فيه الحوار مع الصدام الحضاري، واختلط فيه الحق بالباطل، وهاجمت فيه الأمم جمعاء الأديان السماوية والإسلام خاصة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: ((يوشكُ الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت))، وهو ما نلاحظه من تأثير مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم، بأهم ما جاءت به الحضارة الغربية من ثقافات عديدة ومتنوعة كالحداثة الغربية التي كان لها باعاً كبيراً من هذا التأثير، بفعل التطور التكنولوجي المتسارع والرهيب، الذي أثر في العديد من الشرائح الواسعة للمجتمع العربي والإسلامي، ومن هنا حاول الدكتور محمد عمارة أن يستعرض لنا حقيقة هذه الحضارة الغربية، وأهم ملامحها.

* إذا فما هو مفهوم الحضارة الغربية من وجهة نظر الدكتور محمد عمارة؟ وكيف تلقاها المجتمع العربي والإسلامي؟.

- ما مدى تأثير العقل العربي بها إلى أبعد الحدود؟.

يقول الدكتور محمد عمارة، إن كل دراسة جادة لا بد لها أن تبدأ من المداخل اللغوية والاصطلاحية، لتحديد المفاهيم والمحاو التي ستقوم حولها الدراسة وقضية المصطلح تكاد أن تكون من أدق القضايا في عصرنا الماضي والواقع أن تحديد المصطلح يعتبر كما يقول هيدغر، مهمة أساسية وأولية

بالنسبة لأي حوار فكري وجاد يَنْقُذُ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويوجدُ لغة فكرية واحدة بين الفرقاء المتحاورين.¹

وتتبين دلالة أي لفظ ابتداء من ناحيته اللغوية، أو ما يعرف عادة بالناحية الاشتقاقية التي تُبرز المعنى الأولي أو الأصلي الذي يكون للفظ. ومن المفيد أن نحدد تحديدا دقيقا مفهوم مصطلح الحداثة.

تعريف الحضارة الغربية:

جاء في محاضرة للدكتور محمد عمارة بعنوان (رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) قوله: نختلف حول تعريف الحضارة حتى الآن فكلنا يتحدث عن الحضارة لكن الناس عندما يتحدثوا عن الحضارة كتعريف يختلفوا وهذا يرجع إلى أن القواميس التي نرجع إليها كثيرة منها قواميس مفاهيمها غربية وبالتالي نحن نعرف مصطلحاً له عمق في حضارتنا.²

ويضيف عمارة فالحضارة لها علاقة بالحضور ولها علاقة أيضا بالقرار والاستقرار والحضارة هي مقابل البداوة، لأن البداوة ليس فيها حضور ولا قرار ولا استقرار ففيها تنقل، والتنقل يجعل أهل البادية غير قادرين على أن يراكموا قدرات مدنية وأبنية مدنية في مجتمعاتهم، فمن الممكن للبديوي أن تكون له ثقافة ونحن نعرف الشعراء الذين كانوا في

¹ - د محمد عمارة معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام بدون تاريخ الطبعة وسنة النشر، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 12

² - د محمد عمارة، محاضرة بعنوان (رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) مركز الدراسات المعرفية - مصر الموقع الإلكتروني <http://site.iugaza.edu>. 2002/05/07 ps/ishbeka/files/2012/11/pdf_49. pdf

الجاهلية في قمة الثقافة رغم أنهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر فلم يكن هناك تراكم للمدنية.

أما في نظرنا نستطيع الحكم على أن الحضارة الغربية تختلف عن العربية في الثقافة وهذه الأخيرة هي كل الآداب والفنون والمواريث والفلسفة التي تهذب النفس الإنسانية، والحضارة الغربية تتميز بال عمران والواقع المادي إذن فالحضارة من الحضور والاستقرار أي لا بد فيها من عمران الواقع المادي والحضور الذي يمثل تهذيب النفس الإنسانية بواسطة العلوم والآداب والفنون.

ويضيف عمارة أن للحضارة الغربية ملامح تختلف فيها اختلافا جذريا عن الحضارة العربية، فمن أبرز ملامحها (الطابع المادي -الطابع العنصري - الطابع الصراعي) .وفصل الدكتور في هذا الكلام طويلا، وبالمقابل تكلم عن نقيض الحضارة الغربية التي هي الحضارة الإسلامية، وبين أوجه الاختلاف بينهما وذكر سمات الحضارة الإسلامية التي تمتاز بأنها ربانية وحضارة خالدة لأنها موجودة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أيضا إنسانية لأن الإنسان مكرم فيها .وهي أيضا وسطية وهذه من أهم السمات فيها .

فهذا تقريبا ما صال فيه وجال وشرح الدكتور محمد عمارة و ذكره عن الحضارة الغربية وكيف قارن بينها وبين الحضارة العربية الإسلامية .
ومما سبق نستخلص أن الدكتور محمد عمارة يرى أن الحضارة الغربية الحديثة، تتجه نحو فكرة السيطرة على العالم في جميع المجالات والميادين، وذلك من خلال فقدان وتراجع دور وهيمنة الكنيسة الأوروبية، وما تمتلكه من نفوذ وسيطرة على مقاليد الحكم، واتخاذ القرارات في الدولة في ما عرف

بعصور التنوير، لقد بدأت الحضارة الغربية في الازدهار وتحقيق التقدم، وذلك في شتى المجالات الحياتية سواء الزراعية والصناعية، حتى وصلت إلى تقدم كبير في جميع المجالات الصناعية، و هذا انطلاقاً من قيام الثورة الصناعية في فرنسا في مطلع القرن التاسع عشر، وما حملته من شعارات كالحرية والعدالة والمساواة، معلنة بذلك طلاقها من سطوة الكنيسة نهائياً .

ومما نلاحظه أن الدكتور محمد عمارة بيّن لنا أن الحضارة الغربية قد اتخذت أبعاداً جديدة، من أهمها فكرة فصل مفهوم الدين كمحرك ودافع أساسي لسياسات الدولة، والفصل بين السلطات لتشكل بذلك مفهوماً للديمقراطية يختلف عن باقي المفاهيم الأخرى لها في باقي دول العالم حيث ركزت على مفهوم الحرية الفردية ولو كانت مخالفة للدين، بل فتحت المجال للأفراد دون أي قيد أو شرط في الابتكار والابداع بشتى صوره دون وضع خطوط حمراء أو ضغوط من الدولة أو المجتمع .

و مما نستند إليه كذلك من وجهة نظرنا أن المفكر الجزائري مالك بن نبي يرى أن الحضارة الغربية، من خلال الثورة الصناعية قد أفرزت جانباً سلبياً آخر تمثل في توسع الأوربيين على حساب الشعوب الأخرى لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والحضارية، كاشفاً بذلك جميع أشكالها الظاهرية وصورها الباطنية في العديد من كتبه.

وفي ذلك يقول: (هذه النزعة للهيمنة والسيطرة هي شعور عميق في الإنسان الأوروبي ورثه عن ثقافته ويبقى متجذراً فيه، فالفرد الأوروبي يحمل جراثيم الكبرياء دائماً لأنه يتلاقها من الجوّ الأمومي الذي يتكون فيه منذ طفولته، ويتكون فيه تصوره للعالم والإنسانية فهو يعتقد أن التاريخ والحضارة يبتدئان من أثينا ويمرّان على روما ويلفت الانتباه إلى تمكن الحضارة الغربية من

فرض حضورها على مستوى العالم، إذ استطاعت أن تنتشر في العالم، وتنتشر أفكارها ومواقفها وطرق تفكيرها، عبر وسائل الإعلام و انتشار وسائل الاتصالات المختلفة والبعثات الأوروبية وظهرت تيارات التغريب في العالم العربي ومن هذا تبقى نظرة الغرب للآخر قائمة على التصور مادي بحت. ولقد بلغت أوروبا الغاية في الفن والصناعة ولكنها ارتدت عن الأمثلة الأخلاقية فلم تعد تعرف شيئاً من الخير للإنسانية فيما وراء حدود عالمها الذي لا يمكن فهمه إلا بلغة المادة)¹.

ويذهب كذلك الدكتور مصطفى السباعي أن الحضارة الغربية نشأت كما هو معلوم من اتصال الغرب بالحضارة العربية الإسلامية، عن طريق المدراس والمعاهد العربية في الأندلس وفي بجاية وباقي الاقطار الإسلامية الأخرى .

وكانت الفلسفة اليونانية رافداً مهماً ومما عني به مفكرو الإسلام وفلاسفته، فنقل طلاب الغرب النابهون عن العرب فلسفة اليونان وكتبهم، وأكَّبوا على دراستها رغم مطاردة الكنيسة لها، ثم تفتح الذهن الغربي وأخذت تبدوا له الحقائق، خلاف ما كانت تنادي به الكنيسة من علوم ومعارف. واستمر الصراع طويلاً بين الكنيسة والعلم، حتى انتهى الأمر بانتصار العلم على الكنيسة بعد ما لقيه العلماء والفلاسفة من عذاب، وسجن الكثير وطورد الكثير منهم، واستوت النهضة الغربية الحديثة على قدميها، وهي مطبوعة بطابعين واضحين: طابع الفلسفة اليونانية واتجاهها المادي الوثني، وطابع آراء المفكرين الغربيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (وهم

¹ - المفكر مالك بن نبي - مشكلات الحضارة - وجهة العالم الإسلامي - إعادة طباعة سنة 1423 هـ - 2002 م - ط 1 1986 م دار الفكر دمشق سوريا

المفكرون والفلاسفة الذين قادوا حملة مقاومة تسلط الكنيسة على العلم والفكر)، وفي ظلّهما نمت جميع المذاهب الفلسفية والأخلاقية التي سيطرت على عقول الغربيين حتى الآن.¹

أهم ملامح الحضارة الغربية :

من خلال قراءتنا لوجهة نظر الدكتور محمد عمارة و ما كتبه عن الحضارة الغربية، وحسب تعبيره فإنه يرى أن الحضارة الغربية قد اتسمت بمجموعة من الملامح، والتي أعطاها رؤية نقدية بعدما تحدث عن بعض الجوانب الإيجابية للحضارة الغربية، ومن هذا المنطلق يذكر الدكتور محمد عمارة وجهة نظره كباحث ومفكر إسلامي، ملامح الحضارة الغربية والتي تمثلت في:

الطابع المادي للحضارة الغربية:

يعتبر الدكتور محمد عمارة أن أول ما ميز الحضارة الغربية الطابع المادي، حيث كان قاسماً مشتركاً بين فئات المجتمع الغربي، وعلى مرّ تاريخ الحضارة، وما يميز هذا الطابع، هي قضية "رؤية الإنسان للكون و" موقع الإنسان للكون" فالحضارة الغربية تجعل الإنسان سيد الكون بينما نلاحظ أن الحضارة الإسلامية تجعل الإنسان خليفة سيد الكون وهو الله سبحانه وتعالى، فالأولى جعلت للإنسان حرية مطلقة غير مقيدة ولا تحكمها شريعة ويصبح الإنسان فيها فعّال لما يريد ولا تحده قيود، ولا يُسأل عن شيء فلا يُحلُّ حلالاً ولا يُحرم حراماً ويجعل من الشذوذ فنونا ومن الربا قانوناً ويعتدي على بعضه البعض، لأنه سيد الكون فلا سقف يحد حريته. أما

¹ - الدكتور مصطفى السباعي – مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة
/https://daratalmarifah.wordpress.com/2017/11/22/civilization

عندما يكون الإنسان خليفة لله سبحانه وتعالى، فلا له أن يعمل في حدود الحلال والحرام والشرائع الربانية فيلتزم حدود الشرع بفعل أو امره واجتناب نواهيه.

ولذلك يرى الدكتور محمد عمارة أنه منذ بدايات حضارة الإغريق كانت رؤية "أرسطو" للذات الإلهية، أن الله خلق الكون ثم حركه، فهو المحرك الأول، ثم أصبح الكون يتحرك بقدراته الذاتية، وبالطاقات المودعة داخله، دون تدخل من الذات الإلهية... أما في الإسلام فالله هو راعي للإنسان راعي للكون ومدبراً له بينما في الحضارة الغربية، هو مجرد خالق فمذ أرسطو الله عندهم مجرد خالق للكون وليس له علاقة بتسيير حركة الكون فشبهوه بمن صنع الساعة وترك عملها للتروس التي بداخلها.¹

ويرى الدكتور محمد عمارة أن إنسان الحضارة الغربية، الذي لا يرجع المسببات المادية إلا إلى أسبابها المادية، سواء لماديته أو إلحاده، أو في مناهجه الوضعية لا يرى في "الزَّرْع" إلا لأسباب المادية والعوامل الطبيعية والمؤثرات الإنسانية... ومن ثم فالإنسان عنده هو "الزَّارِع" ولا زارع غير هذا الإنسان.²

ويؤسس الدكتور محمد عمارة كلامه حول الطابع المادي للحضارة الغربية بنظرية "هيرمينوطيقا النص الديني" أي أن النهضة الأوروبية الحديثة، تأسست على فكرة فلسفة الأنوار، أي وضعية العلمانية، وهي مؤسسة على التراث الفلسفي الإغريقي ذي النزعة العقلانية المتحررة من النقل الديني والوحي الإلهي، بل هي مؤسسة على القانون الروماني المؤسس على فلسفة

¹ - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية على الموقع الإلكتروني http://site.iugaza.edu.ps/ishbeka/files/2012/11/pdf_49.pdf 2002/05/07 -

² - الدكتور محمد عمارة - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دت، د سنة، ص 6

المنفعة بالمعنى الدنيوي الخالص، والذي لا ترتبط فيه المنفعة بالقيم والأخلاق بمعناها الديني والإلهي، فتعاملت مع الموروث الديني التوراتي والإنجيلي باعتباره جملة معترضة في السياق الحضاري الغربي، وحكمها على الدين أنه إفراز من إفرازات العقل البشري، يلائم طور الطفولة فقط، لتتدرج الفلسفة الأوروبية بعدها من طور الميتافيزيقا إلى طور الفلسفة الوضعية الواقعية، التي جعلت للمصدر الوحيد للمعرفة هو الواقع والعلم ثمرة للتجربة دون سواها¹.

ويرى في هذا الجانب كذلك الدكتور مصطفى السباعي أن الأساس الذي قامت عليه الحضارة الغربية، أساس مادي بعيد عن روحانية الدين وتأثيره في نفوس الأفراد والجماهير، وما زال الدين يفقد سلطانه على الغربيين شيئاً فشيئاً، حتى وجد الغربيون أنفسهم في هذا المنحدر السحيق وهذا القلق الشامل العميق، ويود مفكروهم وعقلاؤهم الآن استدراك ما فاتهم من روحانية الدين، ولكن أنى لهم ذلك وقد آتت الشجرة ثمارها واشتدت جذورها.

وإذا كان من مميزات الدين، أن يوفر للناس قسطاً من الطمأنينة النفسية والروحية التي تخفف عنهم أعباء الحياة وآلامها، وتكبح فيهم جموح الغرائز وشهواتها، كما فعل الإسلام في أوج حضارته وازدهارها واتساع رقعتها، أدركنا أيّ مقدار من الشقاء جلبته الحضارة الغربية على أبنائها حين أقصت الدين عن التوجيه في الحياة العامة، وجردته من سلاحه الفعال في بعث الأمل والعزيمة والتضحية والرحمة في نفوس الأفراد والجماهير².

¹ - الدكتور محمد عمارة، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص 19.

² - الدكتور مصطفى السباعي - مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة <https://daratalmarifah.wordpress.com/2017/11/22/civilization>

ومما سبق فيمكننا القول: أن الحضارة الغربية كانت سببا في إفلاس الشعوب الأوروبية، بحجة إسعادهم وبث الطمأنينة فيها فلما ابتعدت عن الدين وحاربته ظنت أنها تستطيع السير وحدها دون اللجوء إليه، فأصبحنا نرى اليوم رغبة صادقة من الكنيسة في التعاون مع الدولة في كثير من الحكومات الغربية على تخفيف ويلات الحضارة على أبنائها، ومثال ذلك ما يقوم به بابا الكنيسة في روما من زيارات لمختلف دول العالم، لبعث روحانية الكنيسة من خلال مختلف النشاطات الخيرية للكنيسة.

ومثال ذلك ما تقوم به "جمعية التسلح الخُلقي" المنتشرة في أوربا، وكانت لها زيارات لبعض بلدان الشرق الأوسط والأقصى ومنها القاهرة، وهي تدعو في الظاهر إلى الفضيلة والرحمة والعدالة وما أشبه هذا، هذه بعض مظاهر النشاط الديني في الدول الغربية، التي تدل على أنهم بدأوا يفكرون في الدين لتخفيف أضرار مدنيته.

- الطابع العنصري للحضارة الغربية :

يذهب الدكتور محمد عمارة أن الإغريق كانوا يرون أن الذين يتحلون بالديمقراطية هم قلة من السادة والأشراف والملوك، وهم من ابتدعوها وأن من عداهم من البشر هم همج وليس من حقهم التمتع بالديمقراطية وليس لهم حقوق في هذه العنصرية فكانت القلة منهم من تمتلك السيادة والديمقراطية والباقي ليس لهم حقوق فهم من البرابرة وكان جليا ومثال على ذلك القانون الروماني الذي هو مظهر من عبقرية الحضارة الغربية حيث كانوا يعتبرون أن الشعوب والمستعمرات الغير رومانية وغير الأحرار من الرومان ليس لهم شرف أن يطبق عليهم القانون الروماني وهناك من المتأثرين بالغرب من كان يظن أن الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي تأثر بالقانون الروماني لان

القانون الروماني كان يحكم الشام، ولما فتح المسلمون الشام تأثروا بالقانون الروماني فيبدو أن هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق، كما في ذلك الدكتور صوفي أبو طالب في رسالة الدكتوراه إلى أن كثيرا من الابحاث والإثباتات تقول :

أن أول ترجمة لبعض نصوص القانون الروماني تمت بعد تدوين الفقه الإسلامي ولم تكن هناك أي علاقة تأثر للفقه الإسلامي بالقانون الروماني لأن القانون الروماني لم يكن يحكم الشام قبل الإسلام لأن المستعمرات الرومانية لم يكن يطبق عليها هذه القوانين، وفي العصر الحديث تكررت تلك الأفكار عند النازيين في ألمانيا وأبيد من ورائها عشرات الملايين وكذلك الصهيونية الغاشمة التي قتلت وشردت وهجرت العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، فالنموذج الغربي الليبرالي المتوحش يميزه الطابع العنصري كما يذهب له "فوكوياما" في تمييزه بين الأبيض والأسود والتفرقة بين الساميين فكل هذه نزعات عنصرية، وفكر فلسفي عنصري، وحتى الفلسفات التي كانت تريد تحرير الطبقة العاملة وتطبيق العدالة الاجتماعية كانت تعتبر الاستعمار الغربي في البلاد الغير غربية نوع من التمدن والتحضر، و"ماركس" عندما استعمرت الجزائر فرح وقال أن هذا الاستعمار هو الذي سيمدّن الجزائر لأنه سيمحو هذه الثقافة الرجعية لهذا البلد، وهو يقصد بذلك الإسلام وينقل الرأسمالية التي ستنتج طبقة عاملة، ولما استعمرت الهند، كان نفس الشعور

بالنسبة لماركس فكل التيارات الفكرية الغربية كانت تعتبر إزالة البنية الأساسية للشعوب الأخرى نوع من التمدن والتحضر وهذا موقف عنصري¹.

الطابع الصراعى للحضارة الغربية:

جاءت فكرة الصراع كما يعبر عنها الدكتور محمد عمارة، من المصارعة وهذه الفكرة موجودة في النظريات الأساسية التي تتكون منها النهضة الأدبية في العصر الحديث، وأن أغلب ما تنص عليه الحضارة الغربية أن البقاء للأصلح والأقوى، فالصالح عندهم ليس الأكثر خلقا والأكثر إصلاحا وهي نفس النظريات للنظرية الصراعية، ولهم أيضا الصراع الطبقي سائدا عندهم كما سائدا في الجاهلية وبعدما ذاع نظام العبودية قضى على الإقطاعية ثم جاء النظام الإقطاعي فقضى على العبودية، ثم جاءت الرأسمالية فقضت على الإقطاعية ثم جاءت الشيوعية فقضت على الرأسمالية، وكلما دخلت أمة قتلت ولعنت أختها، فلا يوجد أحد يعترف بالآخر، فالجديد عندهم دائما يحو القديم.

فنرى أن الحضارة الغربية قامت على فكرة الصراع منذ أمد بعيد وهذا جلي في مرحلة الحروب القومية التي شهدتها أوروبا والحروب الدينية بين المذاهب النصرانية التي أزهرت الملايين من الأرواح، وفي هذا السياق يتحدث الدكتور محمد عمارة بقوله: (لقد امتدت الحروب الدينية داخل النصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت أكثر من قرن، أبيد فيها 40% من شعوب وسط أوروبا)².

¹ - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية -

مركز الدراسات المعرفية - 5- http://site.iugaza.edu.ps/ishbeka/files/2012/11/07/pdf_49.pdf

² - الدكتور محمد عمارة الإسلام والآخر - د ط مكتبة الشروق الدولية سنة 2001م مصر، ص 147

ونحن نسميها كما يذكر الدكتور محمد عمارة-الحرب العالمية كنوع من الإعلام-ولكنها حرب استعمارية بين القوى الاستعمارية الأوروبية الكبرى، ونحن لم نكن طرفا فيها، فهنا تمثل المصطلحات مشكلة كبيرة فالحرب العالمية هي ليست عالمية ولكنها فرضت على العالم فهي حرب استعمارية، أصبح لها تأثيرات وبعد عالمي، فالحرب الدينية من ضمن النزعة الصراعية والحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي كانت أغلبها موجهة ضد العالم الإسلامي.

ومن أمثلة زيف وكذب وبهتان الحضارة الغربية وثقافتها علينا، ما يذكر أن كريستوف كولومبوس مثلاً أنه جاء للشرق ليكتشف هذا الطريق، وإنما سقطت غرناطة في يناير عام ألف وأربعمائة واثنان وتسعون وفي أغسطس من نفس العام شوهدت الحملة الصليبية لكولومبوس على العالم الإسلامي وقامت بشيئين أولهما:

تحول طريق التجارة بين أوربا وآسيا والثاني للالتفاف حول العالم الإسلامي. كما قام أيضا "فاسكو دي جاما" في البرتغال باكتشاف رأس الرجاء الصالح ثم جاء إلى شواطئ الهند فحاربه الجيش المصري سنة 1507م، إذن فالصراع الحضاري مستمر منذ سقوط غرناطة إلى يومنا هذا.

كما يروج "لماجلان" أنه رجل مكتشف ولكن في الحقيقة قتل وحارب ونكل بالمسلمين في شواطئ الفلبين عام 1521م، بعدما كانت الفلبين دولة مسلمة ودخل المستعمرون بعده إليها، ثم تحولت إلى بلد كاثوليكي يضطهد المسلمين في جنوب الفلبين حتى الآن.

مما سبق مما ذكره الدكتور محمد عمارة وما لاحظناه :

فإن الحضارة الغربية تتميز بطابع صراعي وأن مبدأ الصراع جزء منها، وهي المُرَوِّجَة لمبدأ صراع وصدام الحضارات، وعلاقتها مع العالم كما يراها الغرب تتميز بأنها دموية وصراعية من أجل السيطرة والهيمنة وملء الفراغ.

طابع عبقرية الحضارة الغربية :

ومن وجهة نظر أخرى يرى الدكتور محمد عمارة أن الحضارة الغربية لا تخلو من جوانب إيجابية وهذا أمر طبيعي، فمن الملاحظ أن الحضارة الغربية تركت الجانب الروحاني والإلهي، فيما يسمى بعصر الظلمات والجمود الفكري وسيطرة الكنيسة على العقل الأوروبي ومنعه من الإبداع والإبتكار، وركزت في العصر الحديث على الجانب الدنيوي فأبدعت في علوم المادة والكون فنتج عن ذلك تطور هائل الذي يجب أن نسعى إليه، ونتعلم منه، ومثال ذلك في الجانب الإنساني ما يسمى "بفكرة المؤسسة" فالكنيسة مؤسسة فالفاتيكان له أموال طائلة فهو أكبر إقطاع رأسمالي في الغرب فأمواله توظف في الأفلام الجنسية والدعارة ففي أي مجال يستخدمه وبأي شكل فالقاموس في الحضارة الغربية له مؤسسة، ودائرة المعارف لها مؤسسة، والثقافة لها مؤسسة، والأحزاب لها مؤسسات لذلك أصبحت مَعِدَةُ الحضارة الغربية معدة قوية، وصدق الشيخ محمد عبده رحمه الله حيث كان يقول: ((أن الباطل يعيش بالنظام، والحق لا يعيش بغير النظام، فمأساتنا فقدان المؤسسات))¹.

¹ - المصدر السابق ص 8

المطلب الثالث :

تعريف الحادثة الغربية وأسسها.

المطلب الثالث : تعريف الحادثة الغربية وأهم ملامحها

مما نلاحظه اليوم، أن سؤال مفهوم الحادثة الغربية، وكيفية تلقيها في المجتمعات العربية عامة، والإسلامية خاصة يعتبر من أهم المسائل التي خلقت جدلاً في الأوساط الفكرية من نخبنا لكون هذا المفهوم في سياقات غربية مغايرة عن السياق والطرح الإسلامي لأنها لا بد لها من الخضوع لسلطة النص الديني، فمصطلح الحادثة هو فعل تجاوز كل ما هو مقدس، هذا ما خلق في ثقافتنا نوع من التوجس من الوافد الجديد، فانشطرت أنواع التلقي لهذا الوافد الجديد، إلى مواقف، رافض له كلية ومتفاعل معه، وموقف وسطي توفيق بينهما.

ومن بين المواقف التي آمنت بضرورة الانفتاح والتفكير في أفق كوني موقف الدكتور محمد عمارة الذي يقدم تصوراً مغايراً عن باقي الأطروحات، لأنه يرى أن الشريعة الإسلامية تتقاطع والحادثة في المبادئ الإنسانية وتختلف عنها في المضامين الأيديولوجية.

ومن هذا المنطلق سنخرج على مفهوم الحادثة الغربية لغة واصطلاحاً و نذكر أهم أسسها.

أولاً: المفهوم اللغوي للفظ الحادثة.

ورد في لسان العرب لابن منظور الحديث نقيض القديم، والحدوثُ نقيضُها لقدمه، حدث الشيء أي حدثَ حدوثاً وحادثةً وأحدثه هو، فهو مُحَدَّثٌ وحديث، وكذلك استحدثته.¹

¹ - حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط3 سنة 1414 هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت - لبنان ج 2 ص 131 مادة حدث 1414 هـ بيروت لبنان .

وجاء في لسان العرب لابن منظور أن الحادثة هي اللفظة المشتق من الفعل حدث، بمعنى وقع، وَحَدَّثَ الشَّيْءُ وَيَحْدُثُ حَدُوثًا وَحَدَاثَةً فَهُوَ مُحَدَّثٌ وَحَدِيثٌ، وحدث الأمر أي وقع وحصل، وأحدث الشيء أي أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء.¹

ولهذا كان استعمال كلمة حديث للدلالة على التفتح والحرية الفكرية، ويوجد في قاموس المحيط كلمة حادثة تعني "حَدَّثَ حَدُوثًا وَحَدَاثَةً، نَقِيضُ قَدَمٍ وَتَضَمُّ دَالِهِ إِذَا ذَكَرَ مَعَ قَدَمٍ، وَحِدَثَانُ الْأَمْرِ، بِالْكَسْرِ، أَوَّلُهُ وَابْتِدَاؤُهُ كَحَدَاثَةٍ."²

وقد استخدمت العرب حدث مقابل قَدَمَ أي ما يعني أن الحادثة تعني الجدة والحديث يعني الجديد، وجاءت كلمة الحديث في معجم تهذيب اللغة للأزهري: شَابَّ حَدَثٌ: فَتِيٌّ السِّنِّ، والحديث: الجديد من الأشياء.³ والملاحظ أن لفظة الحادثة لا تخرج عن إطار التمرد والثورة عن كل ما هو قديم والدعوة إلى الجديد.

أما في الثقافة الغربية فيقع اللبس بين مصطلحين هما: modernité و modernisme إذ تتم ترجمة كل منهما إلى اللغة العربية مقابلاً بمصطلح الحادثة الذي يختلف عن التحديث modernisation، ويشير البعض على أن الأولى " مشتقة من الجذر mode وهي الصفة والشكل أو هو ما يبتدأ به الشيء، فاللفظة العربية ترتبط بما له أكثر من دلالة عما يقع أنه يحدث،

¹ - المصدر السابق، ج 2، ص 131

² - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط 8

سنة 2005 م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان- ص 167

³ - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبدالسلام العرابوي، ج 4 القاهرة دت، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة حدث .

فالشكل ليس هو المهم وليس هو الصورة التي تبرز، فإنما يحدث يتثبت بواقعيته وراهنيته.¹

وجاء في بعض الموسوعات الفلسفية الأخرى تعاريف للحادثة نذكر منها أن الحادثة، في المعجم الفلسفي هي "الحديث الذي يتضمن صفات المدح أو الذم، فالحديث، الذي يتضمن معني الذم صفة الرجل قليل الخبرة السريع التأثير المقبل على الأعراض التافهة، دون الجوهر العميق، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لخبثه وفساده، أما عن الحديث الذي يتضمن معنى المدح صفة الرجل المتفتح الذهن، المحيط بما انتهى إليه العلم من الحقائق المدركة، لما يوافق روح العصر، من الطرق والآراء والمذاهب".²

ويشير هذا إلى أن الحديث لن يخلو من الشر لأن الحديث ذا صفة معيارية و نسبيه تحاول جمع محاسن القديم والحديث، لتصبح رمزا الأصالة والإبداع والابتكار والتي تحمل الخير للعصر، من أجل التخلي على كل التقاليد الجامدة و العادات البالية ويكون الحديث بهذا المعنى يرتبط بمفهوم التطور والإنماء في جميع الميادين.

إن الفكرة المتوصل إليها في تحديد المفهوم اللغوي لمصطلح الحادثة أنها ارتبطت دائما بصفة الحديث باعتباره رمزا لها للكشف عن كل جديد والتخلي عن كل قديم الذي لا يليق بانفتاح أصالتها.³

¹ - صفدي مطاع : نقد العقل الغربي ، الحادثة وما بعد الحادثة، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط، ج 2 ص 1660

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان- ، ط 1، سنة 1982، ج 2، ص 454-455.

³ -جوادي الجيلاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، نقد الحادثة الغربية عند طه عبد الرحمان، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، تاريخ المناقشة 2017/05/11م ص08.

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للحادثة :

تعتبر الحادثة أحد المفاهيم التي لها معان كثيرة، ويشترك مفهومها مع مفاهيم مجاورة له من قبيل التجديد والتحديث وهذا ما يزيد من صعوبة تحديد مدلولها والوقوف على تعريف محدد للحادثة إذ لا يمكن حصرها في اتجاه محدد، ومذهب معين و هذا ما أدى إلى اختلاف بعض مواقف المفكرين، نظرا لتعدد تعريفاتها بحسب مقارباتها الفلسفية.

وفي نظر الدكتور محمد عمارة أن الحادثة الغربية جعلت الكون المادي والواقع الدنيوي فقط -وليس الغيب- هو مصدر المعرفة الحقة والعلم الحقيقي كما جعلت العقل والتجربة وحدهما دون "النقل" و "الوجدان" الطرق المعتمدة والمأمونة لتحصيل هذه المعرفة فكانت (القطيعة المعرفية مع الموروث وبالذات الموروث الديني) تلك التي تميزت بها ثقافة الحادثة الغربية، والحادثة الثقافية عندما عزلت علمانياتها السماء عن الأرض، بدعوى أن "العالم مكتف بذاته"، وأن "الإنسان مكتف بذاته" وأن تدبير هذه الحياة الدنيا إنما يتم بالأسباب المادية والملكات الإنسانية المودعة في ظواهرها وعوالمها دونما حاجة إلى مدبر مفارق ومتعالم من وراء الطبيعة ن حتى لقد جعلت هذه الثقافة الحداثية التي تمحورت حول الإنسان، دون الله جعلت من هذا الإنسان "كائنا طبيعيا وسيدا للكون" وليس ذلك المخلوق الرباني، الذي نفخ الله فيه من روحه، وجعله خليفة له... أي سيدا في الكون، وليس سيد الكون، وإنما عبدا لسيد الكون¹.

¹ - د محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحادثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1 سنة 1423هـ - 2003م ص6

الحدث بالمفهوم الغربي :

مما سبق لاحظنا أن الغربيين المهتمون بدراسة الحدث على أسسها وأصولها، وإن اختلف مصطلح بعضهم على هذا المصطلح وتفاصيله، فهم يجمعون على أن الحدث منهج تغييرى ومذهب انقلابى فى المفاهيم والأفكار ويتطور مفهومها بتطور مفهوم الزمن، فما كان حدثاً فى السنة الماضية لا يكون حدثاً فى هذه السنة.¹

يرى "أندريه لالاند" أن كلمة حدث تقابل حديث "Moderne" ومشتقة من الجذر "Mode" وهى "لفظ قديم مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر فى الحوار الفلسفى والدينى، ويكاد يستعمل دوماً بمعنى ضمى وهذا ما زاد فى الحرية الفكرية ومعرفة أحداث الوقائع المكتشفة، أو بمعنى عامى خفة انشغال، وحب التغيير من أجل التغيير بلا حكم على الماضى وبلا تفكير فيه".²

ويعرفها "جان بودريار"، حيث يقول: إن الحدث ليست مفهوم السيسولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا يحصر المعنى، وإنما هى صيغة تعارض التقليد ومع ذلك تظل الحدث موضوعاً عاماً يتضمن فى دلالاته إجمالاً الإشارة إلى التطور التاريخى بأكمله وإلى التبدل فى الذهنية.³

¹- محمد بن أحمد عبدالعزيز العلى رسالة دكتوراه بعنوان الحدث فى العالم العربى، دراسة عقديّة جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة الرياض المملكة العربية السعودية سنة 1414هـ 1994م .

²- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2 سنة 2001، مج 2، ص822.

³- عبدالغنى بارة: إشكالية تأصيل الحدث فى الخطاب النقدى المعاصر مقارنة حوارية فى الأصول المعرفية . الهيئة المصرية العامة، مصر، د ط، سنة 2005م

ويوضح هذا أن الحادثة ممارسة أرادت أن تتناقض الأساس التي قامت عليها الثقافة الغربية في الماضي والتي كانت قائمة على الدين، وبهذا ابتدأت الحادثة في أوروبا منذ اللحظة، التي تفككت فيها الثقافة الدينية و ظهرت الثقافة اللادينية، وهذا لأن الحادثة مختلفة ومتعددة الأوجه بتعدد تعريفاتها.

فالحادثة بهذا المعنى "مصطلح ثقافي ومفهوم يعبر عن لا محدودية المستقبل، عن شموليته، وعن كونه العام مقابل الخاص، أو ما قام منه، ومن هنا تحمل الحادثة إمكانية التبشير بالمختلف الذي سيأتي به الأفق اللامحدود المستقبلي".¹

وبهذا تصبح الحادثة خطأ حضارياً مُتَّجهاً نحو المستقبل، داعياً إلى أفق جديدة ترفض كل ملامح الثقافة التقليدية، و مبشرة بالتغيير والتحول داخل المجتمع، من أجل تجاوز مظاهر التقليد الطاغية على الحاضر.

أما (بودليير 1821م 1867م)² فالحادثة عنده هي العابر والهابز والعرضي إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدى والثابت، وللحادثة وجهان: سلبي وهو ما عكسه عالم المدنية الكبيرة بما فيه من غياب التحضر والذي يتجلى في التقدم القائم على التقنية المعتمدة على البخار والكهرباء، ووجه فائن، وهو عنصر إثارة.³

¹- مطاع صفدي، العقل الغربي للحادثة وما بعد الحادثة مركز الانتماء القومي بيروت لبنان سنة 1990 م ص 203

²- شارل بودليير هو شاعر وناقد فني فرنسي ومن أبرز شعراء القرن 19 ومن رموز الحادثة في العالم، له كتاب الأعمال الشرعية الكاملة ترجمها رفعت سلامة في دار الشرق القاهرة سنة 2009م.

³ - محمد برادة ، إعتبرت لتجديد مفهوم الحادثة ، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2006م ص 12.

ويؤكد الحداثيون الغربيون على أن أخص مفاهيم الحداثة، هو الثورة على كل ما هو قديم وثابت والنفور من كل ما هو سائد من أمور العقيدة والفكر والقيم واللغة والشؤون الأدبية والفنية، وهذا ما يؤكد على أنها ثورة على الواقع بكل ما فيه من ضوابط.

ويقول الروائي الفرنسي فلوبيير عن الحداثة: الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي بمعنى أن الوعي الحداثي ليس تشييعا لسلطة ماضوية، وحنينا إلى أصل تليد وحقة ذهنية، بل هو تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي.¹

هذا يعني بأن الحداثة عبارة عن مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار يختفي تحت شعار التقدم والتطور في جميع الميادين، ولهذا فالحداثة لا تنقيد لا بعصر ولا بزمان عكس المعاصرة التي تتحدد بالزمان، فهي تسعى إلى نهوض الأمم دون غير.

ومن أهم أفكاره التي تؤسس للحداثة في الأدب، قوله: ليس مواضيع جميلة أو بذيئة إذا ابتعدنا عن قاعدة الفن الخالص، لأننا نستطيع بالإنشاء أن نغير نظرتنا إلى الأشياء.²

ويعرفها الناقد الفرنسي "رولان بارت": الحداثة هي انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان إلى السيطرة عليه. ففي الحداثة تتفجر الطاقات الكامنة والإبداع المعرفي مولدة في سرعة وكثافة مذهشة أفكارا جديدة، وأشكالا غير مألوفة وأقنعة عجيبة، فيقف بعض الناس منبهرًا بها ويقف بعضهم الآخر

¹ - د محمد الشيكور، هايدغر وسؤال الحداثة دط المغرب سنة 2006 إفريقيا الشرق ص12
² - فيكتور برومبير غوستاف فلوبيير ترجمة غالية شملبي، ط 1 لبنان 1978م سلسلة أعلام الفكر العلمي المعاصر ص 22

خائفا منها هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضا.¹

ويعرفها فرنك كيرمود: الحادثة لا تعيد صياغة الشكل بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس، وهذا يعني أن الحادثة لا تأخذ بيد الفن إلى مواطن الإبداع، وإنما إلى مواطن الغموض والتهلكة والغربة والضبابية والتفكك.

الحادثة بالمفهوم العربي :

يقول الدكتور محمد عمارة :الحادثة هي قطيعة معرفية كبرى مع المورث ومع الموروث الديني، على وجه الخصوص فتقافة الحادثة التي جاءت إلينا في ركاب الغزو الإستعماري، نقلت الثقافة من التمحور حول الله تعالى إلى التمحور حول الإنسان، أي أنها أقامت قطيعة معرفية كبرى بين السماء والأرض بين الإنسان وخالقه، وجعلت الإنسان مكتفيا بذاته والدولة مكتفية بذاتها، ليست في حاجة إلى شريعة تنظمها وتحكمها، من وراء العالم الذي نعيش فيه. إذا فالحادثة هي الثقافة التي أنست الدين وجعلت الدين وضعاً بشرياً ولذلك الحداثيون يتحدثون على أن القرآن وأنه وضع إنساني² . يزعم بعض الباحثين أن الحادثة العربية تابعة للحادثة الغربية جملة وتفصيلاً، فمعناها واحد ومفهومها متطابق، فهي مستورد من المستوردات الغربية، مصدرها الأول هو الحضارة الغربية لذا فإن ما تنطوي عليه من ملل وثنية ومذاهب فلسفية، واتجاهات فكرية ومناهج وضعية، فهي في الحقيقة غربية

¹ - عدنان رضا النحوي الحادثة في منظور إيماني ط 3 سنة 1989م -1410هـ دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية . ص 25-26

² - رابط الفيديو بعنوان الخلط بين الحادثة وتجديد الخطاب الإسلامي - الدكتور محمد عمارة سؤال وجواب . 2016/12/18 . https://www.youtube.com/watch?v=4Ofeta_PKpo&ab_channel

الأصل، والنشأة والتوجه والأهداف، ولكنها مترجمة إلى العربية ومنقولة إليها بأحرف عربية الحرف أجنبية الولاء¹.

يقول هشام شرابي: (الحدث في جوهرها هي عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر يختلف عنه جذريا، وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع، وإحلال أنماط معرفية وفكرية جديدة)².

ويرى محمد محفوظ أن الحدث ليست كيانا ثقافيا أو تاريخيا، بل هي نتاج تراكم تاريخي يبني فيه الإنسان نفسه من جديد وبصورة دائمة، وذلك بتصحيح أخطائه، وتسخير العقل في سبيل إعادة بعث وجوده الواعي³. مما سبق تبين لنا أن مصطلح الحدث دخیل في حقل دائرة ثقافتنا العربية، وأخذ أبعادا متعددة وتعاريف مختلفة، ويعد من المفاهيم التي اكتنفها الغموض واللبس، سواء على صعيد بيئتها الأولى ومنطلقها العالم الغربي، أو في العالم العربي.

ويقول أدونيس، وهو أحد أعمدة الحدث في الوطن العربي: (الحدث هي موقف معرفي، أدى إلى تغير نظام الحياة وهذا الموقف المعرفي يقوم على أن الإنسان، هو مركز العالم ومصدر القيم، وعلى أن المعرفة اكتشاف للمجهول الذي لا ينتهي، وعلى أن مصدر القيم، ليس غيبيا وإنما هو إنساني،

¹ - د سعيد بن ناصر الغامدي - الانحراف العقدي في أدب الحدث وفكرها - ط1 سنة 2003م - دار الأندلس الخضراء - جدة المملكة العربية السعودية - ص 76

² - هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي ن ترجمة ماهر شريح، دارنلسن، السويد ط 4 سنة 2000م ص 39

³ - محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط 1 المركز الثقافي العربي، بيروت سنة 1998م ص 33

كما تعني عنده كذلك نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة ومؤسسات وأنظمة تؤدي إلى زوال البنى القديمة، وتؤدي إلى قيام بنى جديدة.¹ ويقول طيب تيزيني: (الحادثة تعني إتاحة التطور والتفتح لكل الإمكانيات والإحتمالات، من أجل أن يتمكن الفرد من التمتع بها، إنها تعني تنمية القوى المنتجة وتنمية الوعي بالذات، وفي نفس الوقت معاشة كتحريير كبير وكمنة،

ومن هنا نتجت تلك الرؤية السعيدة عن الحادثة²).

أسس الحادثة الغربية:

نجد عند كل باحث من خلال مساره الطويل، أن موضوع الحادثة يجد نفسه محكوما بضرورة الوقوف عند أسس، وجذور تشكلها وتطورها وسرعة انتشارها، وقدرتها في الاستحواذ على فكر غيرها، ولقد اختلف الباحثون الذين أرخوا للحادثة الغربية وحول بدايتها كثيرا، فهناك من يرجعها إلى عصر النهضة و حركة الإصلاح الديني والثورة الصناعية وانفصال الدين عن الفن وهناك من يرجع بدايتها الأولى إلى الثورة الصناعية الثانية، وانطلاق أول قمر صناعي في الفضاء، والثورة الروسية 1917.

ومما سبق نلاحظ أن الحادثة لم تنشأ من فراغ بل جاءت بعد قطيعة من المذاهب الفكرية والفلسفية والاتجاهات الأدبية والتيارات المتعاقبة صلتها مع الكنيسة والدين، ومن هنا انبثقت مجموعة من الأسس التي قامت عليها الحادثة الغربية نذكر منها:

¹ - أدونيس على أحمد من المفكرين العرب سعيد ، فاتحة لنهايات القرن - ط1 دار العودة بيروت لبنان سنة 1980/03/1

² - طيب تيزيني، الإطار النظري والمفاهيمي، من ندوة الحادثة وما بعد الحادثة بمشاركة مجموعة منشورات جامعة فيلادلفيا. عمان ن الأردن، ط1 سنة 2000م ص 35

1- العقلانية:

مادام أن العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي، فإن العقلانية هي روح الإنسان الحديث ومفتاح الحداثية، ولهذا "ترتبط فكرة الحداثية ارتباطاً وثيقاً بالعقلنة والتخلي عن إحداها يعني رفض الأخرى"¹ وبهذه العقلنة أصبح الإنسان يتأمل وينقد، لكونه ذاتاً عاقلة، تميز وتبرهن على الأشياء وتعللها وبهذا لا يمكن فصل الحداثية عن العقلنة وهذا التناسب أصبح راسخاً حتى قيل إن الحداثية هي العقلانية أو الحداثية العقلانية، وفي الحقيقة أن الفكر الفلسفي قد أسس حدائته بمحاولة إعادة الاعتبار إلى العقل وإثباته من ناحية باستبعاد تجليات اللاعقل من ناحية أخرى، باعتباره منبع الفساد والتشويش، فالجنون تهريج وأسطورة خرافة... بهذا فالعقل مفتاح الحقيقة وأسطورة مخبؤها، وبالعقل يستطيع المرء أن يسيطر على ما تخفيه الأسطورة وأن يكشف وظائفها لكشف مقاصدها"²

وهذا يعني أن الحداثية أعطت مكانة خاصة للعقل باعتباره مرجعاً لكل معرفة ومبدأ لكل نشاط علمي ومن شأنه أن يحدد علاقته بالوجود الخارجي، ولهذا فالحداثية مشروع تعميمي وشمولي يقوم على عقلنة جميع أنماط الحياة التي نحدد منها:

- **عقلنة الفكر العلمي:** بدأت هذه العقلنة بالعودة إلى ما هو عقلي و فلسفي، وفي الحضارة اليونانية القديمة وتجاوزت كل الاعتقادات الدينية، البالية التي كانت الكنيسة تعمل على نشرها لبسط هيمنتها على جميع نواحي

¹-الآن تورين, نقد الحداثية ترجمة انور مغيث المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة, مصر, سنة 1997, ص 30.

² -فتحي التريكي ورشيد التريكي فلسفة الحداثية مركز الإنماء القومي بيروت لبنان سنة 1992 ص 69.

الحياة، حيث اعتمدت على العقل البرهاني والتجريب، وهذا ما أدى إلى انفصال العلم بصفة تكاد تكون كلية عن التصورات الدينية، وهذا ما أدى إلى قيام النموذج الرياضي كمقياس لمنهجية التفكير.¹

- عقلنة القول السياسي:

ظهرت هذه العقلنة في القرن الخامس عشر مع ميكافيلي، حيث انفصلت ميتافيزيقيا التفكير عن تدبير شؤون الدولة وهذا ما سمح للسياسة، بمعالجة أمورها بعقلانية مستقلة ومختلفة عن التناول الديني، بل أحدثت قطيعة عن المبادئ الدينية، وأصبحت سلطة خارجة عن الوجدان الديني لها قواعد علمية ثابتة، تفصل الدولة و مؤسساتها عن المشروع الدينية.²

- عقلنة القول الديني:

تبرز من خلال تدخل العقل في المجال الديني، محاولة لإعطاء نظرة عقلية للنص المقدس تختلف عن النظرة التقليدية المورثة"، والحقيقة أن العقلنة في المجال الديني تعني التدخل في جميع مستوياته لإصلاحه والابتعاد به عن الطريق المنحرفة"

-وهذا يؤكد أن العقلنة جاءت لإعطاء معنى عقلي للنص المقدس المسيحي مختلفا تماما عن المعنى التقليدي النقلي، حتى تبعد الفرد عن كل الطرق و الإيديولوجيات التي تفرضها الكنيسة.

2- الذاتية:

تعد الذاتية مبدأ من مبادئ الحداثة الراسخة والتي لا نقل شأننا عن العقلانية والحق أن الحداثة في معناها الحقيقي استعادت ثقة الإنسان بنفسه

¹- المرجع السابق، ص 29.

²-المرجع السابق، ص 30.

من خلال إعطائه حقه ومسؤوليته في كل المجالات باعتبار أن الإنسان ذات متحررة

من كل القيود ومستقلة" هي مقر ومرجع الحقيقة واليقين، وهي المركز والمرجع الذي تنسب إليه الحقيقة لكل شيء¹.

وبما أن الذاتية هي الأساس الفلسفي للحدث، حيث أصبح الإنسان بمقتضاها مقياسا لكل شيء فإنه يمكن القول بأن الحدث جاءت بمثابة الكشف عن الذات الإنسانية حتى تتحقق سيادتها، وتزيل كل الأوهام و الأساطير والخرافات عن الإنسان و يتحرر من ظلامية العصور القديمة، ويحقق حريته في فكره لا فيما كان يقرره رجال الدين وأصحاب السلطة، لأن الإنسان بقدر ما أقترب إلى ذاته ابتعد عن عالم الآلهة وأساطير العهد القديم فالحدث تزيل السحر عن العالم كما يقول: (ماكس فيبر 1864م، 1920م) ولا يمكن اختزالها في انتصار العقل إنها بالأحرى انفراط الصلة بين الذات الإلهية ونظام طبيعي، وبالتالي بين مستوى المعرفة الموضوعية ومستوى المعرفة الذاتية أليس الكشف عن هذه الإزدواجية هو ما جعل من "ريكاردو" رمزا للحدث؟ وفي نفس الوقت وريث الفكر المسيحي، بقدر ما ندخل إلى الحدث بقدر ما تتفصل الذات عن الموضوعات في حين إنها كانا يختلطان في الرؤى ما قبل الحدث.²

وهذا يشير إلى أن الحدث جاءت لتخليص الذات الإنسانية من كل المبادئ التي ورثتها من التراث المسيحي الذي كان يربط كل أفكاره بالمباحث الدينية التي لا يمكن تجاوزها و الابتعاد عنها، باعتبار أن الدين

¹ محمد سيلا، الحدث وما بعد الحدث، دار طوبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، ط 1، سنة 2000، ص 65.

² -الان تورين، نقد الحدث ص 272 .

رمزا سابقا على التعقل، ولهذا جاءت الحداثة بغرض تمظهر العقلنة وتحقيق الذات في وقت واحد مثلها مثل النهضة و الإصلاح.

ولعل أبرز مرحلة انتقالية لتحقيق مبدأ الذاتية تعود إلى حدود القرنين (السادس والسابع عشر) عصر النهضة الأوروبية (حيث عادت الروح إلى الفلسفة وكان من نتائجها تأكيد مبدأ الذاتية) حيث استعاد الإنسان ثقته بنفسه وفكره بما هو فكره ودركه كما استعاد الثقة بالطبيعة الحسية الخارجية عنه وبنفسه ووجد الأهمية كلها والمتعة في اكتشاف الفنون والطبيعة¹.

وهذا يؤكد أن عصر النهضة الأوروبية جاء بمثابة ثورة فكرية، لإسقاط سلطة آباء الكنيسة وللإعادة بعث الروح من جديد، حتى يصبح الإنسان واعيا بمحيطه الخارجي وحرا في أقواله وأفعاله والحال أن الذاتية قامت في الغرب إذ ما كان يهم الإنسان الغربي أن تصدر أفعاله عن نفسه بحسب دوافعها وغايتها، ويؤكد ديكارت 1596م 1656م وحده أبو الفلسفة الحديثة من خلال دعوته إلى تحرير الذات الإنسانية من الجمود الفكري الذي ساد منذ العصور الوسطى ومحاولا تجاوز هذا الإستعباد وتحرير الذات، وفي هذه المرحلة يصف هيجل 1770م 1831م، المفكر التجديدي ديكارت بقوله: "الآن نصل إلى فلسفة العصر الحديث بمعناها الحقيقي، ونحن نبدوها بديكارث فمعه نلج مجال فلسفة حرة مستقلة تعلم أنها متولدة عن العقل المستقل، وأن الوعي بالذات لحظة أساسية من لحظات الحق... لقد أضحى الفكر هو المبدأ الأساسي في هذه المرحلة، نعني الفكر الحر المستقل الصادر عن الوعي بالذات.²

¹ - محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ط 1، سنة 2008، ص 388.

² - المرجع السابق ص 390، 391.

فثمرة انتصار الحداثة هي تحرير الروح استقلالية الذات البشرية، ومعنى استقلالية الذات تعامل الإنسان مع نفسه كذات واعية، سيدة ومريدة وفعالة، وهذا هو مبدأ الذاتية¹. ومن خلال هذه النظرة الجديدة في الفكر الغربي الحديث للإنسان كذات حرة ومستقلة ومسؤولة أصبح الإنسان الحداثي، متحرر من كل الشوائب وله دوافع وغايات يسعى إلى الوصول إليها.

3- الحرية :

إن القول بمبدأ الحرية لا يقل وزناً عن القول بأساسي العقلانية والذاتية، وهذا يؤكد بأن الحرية كانت سبباً في تضخيم الذاتية، كما عمدت إلى جعل الإرادة الإنسانية أساس بناء المجتمع والدولة، فالفكر الحداثي كان أساسه حرية الفرد، ولعل هذا ما ذهب إليه فيلسوف التنوير كانطباع تبار أن الإنسان الكائن الحر بامتياز، وجعل الحرية مقدرة المرء على التشريع لنفسه بعقله، وذلك من دون سند، أو عون خارجي، وهذا يؤكد على مطلقية الفكر الحداثي في التفكير والتعبير عن كل شيء، حيث تتجلى فيها صورة الإرادة الإنسانية الحرة، التي تسعى إلى هدم الوصايا التقليدية التي كبتت الحريات باسم الدين . ولعل أبرز مظهر تجلت فيه الحرية مبدأً للحداثة في المجال السياسي، تبرز في الفعل الديمقراطي، باعتباره ممارسة تتجسد في مختلف مفاصل المجتمع، فالوعي بالحرية في عالم الفكر المجرد، بل في المؤسسات وتنظيمات ترافق الثقافة المظهرة لفكرة الحرية وتتفاعل معها، وهكذا تتألف حضارة الحرية من ثقافة الحرية، ومن مؤسسات الحرية، وتتطور على الدوام من جيل إلى جيل،

¹- علي حرب، الماهية والعلاقة المركز الثقافي العربي بيروت لبنان ط 1 سنة 1998م ص 214.

وهذا يعني أن الفعل السياسي يشير إلى فكرة الحرية في كل الميادين، باعتبارها مبدأ الديمقراطية ناتجة عن المشروع السياسي الحداثي الذي يتطور من مجتمع إلى آخر¹.

¹ - عبد السلام بوزبرة، طه عبدالرحمان ونقده للحدثة دار جداول للنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1 سنة 2011 ص 5-5.

المطلب الرابع : نماذج من الشخصيات العربية الحداثية

المطلب الرابع : نماذج من الشخصيات العربية الحداثية

من خلال تتبعنا وقراءتنا لكتب الدكتور محمد عمارة، وخاصة ما أورده في كتابه التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، وتطرقه لأهم الشخصيات العربية الحداثية، وجدنا أنه كشف ودحض شبهات هؤلاء الحداثيين المارقين، المحسوبين على الدائرة العربية والإسلامية، الذين يسعون لنخر القيم والمبادئ والأخلاق، الإسلامية الفاضلة، عن طريق بث سمومهم، وأفكارهم الدخيلة، على مجتمعاتنا العربية والإسلامية المحافظة، بدعوى التمدن والتحضر والحداثة والتجديد، وهذا ضمن وسائل عديدة ومتنوعة كوسائل الإعلام السمعية والبصرية، والمؤتمرات، والندوات، والمحافل الداخلية، والخارجية، فمن بين أهم وأبرز الشخصيات الحداثية نذكر على سبيل المثال: الدكتور نصر أبو زيد الذي انتقده في كتابه التفسير الماركسي للإسلام حول خوضه في تفسير القرآن الكريم وكلامه في السنة النبوية .

ونذكر أيضا على سبيل المثال عبد الكريم سروش الكاتب الإيراني الذي انتقده الدكتور عمارة في كتابه التأويل العبثي للوحي النبوة والدين ورد عليه، في الكثير من أخطائه الفادحة كخوضه في بشرية الوحي والنبوة وإنكار العقلانية والبرهان على القرآن والدعوة لإختزال الإسلام، و زملائه من الحداثيين أمثال حسن حنفي و طيب تزييني ومحمد أركون ورد عليهم في كثير من كتبه، والذي لا يمكننا من التطرق إليهم جميعا .

و من خلال دراستنا تعرفنا على مجموعة كبيرة من الحداثيين المتأثرين بالتيارات الماركسية والوجودية والباطنية.

فمن بين من تأثر بالماركسية، وتجلّى فيه فكرها رثيف خوري، وسليم خياطة ونجلاء عبد المسيح، ومحمود أمين العالم، و عبد العظيم أنيس،

وحسين مروة، وعبدالرحمان الشرقاوي، فهؤلاء الأدباء حدود التيار الإشتراكي كمنهج للممارسة الثورية والعمل الإنقلابي، يهدف إلى تنوير الجماهير الشعبية، لتعي ذاتها، وتعرف ذاتها.

ومن أمثلة الحداثي الماركسي ياسين الحافظ الذي يقول: (قدمت لي الماركسية مشروعا ثوريا شموليا ينقض بلا هوادة البنيان المخرب الممقوت للمجتمع العربي، ويعوضه بمجتمع حديث عادل عقلاني)¹.

ومن أمثلة الحداثيين المتأثرين بالوجودية في العالم العربي، وحديثهم عن الوجود الإنساني والذات الإنسانية والاحلام والخيالات والتشاؤم والنفور والإكتئاب، كما ذكر ذلك عبد الرحمان بدوي أثناء كلامه عن الوجود الذي تتخذه كل من الصوفية والوجودية موضعاً لها .

وكذلك محمد النقاش الذي نادى بالوجودية، لأنها في نظره تمثل الإستجابة المباشرة لحاجة الإنسان المعاصر إلى إعادة النظر في مقومات وجوده، ثم محاولة تكييفها على شكل جديد بإرادته واختياره².

ومن أمثلتهم كمال أبو ديب الذي يقول: (تبدأ الحداثة العربية في اكتناه الذات وتنتهي برفض العالم...ويتحول التوق الصغير للبوح بما في القلب إلى انفجار عارم في وجه العالم وتصبح الذات معلقة بين انسحاقها القائم ونزوحها المبرح إلى الحرية إلى عالم فسيح كالسما، طليق بلا حدود)³.

ومن الحداثيين العرب من كان متأثراً بالباطنية، ويتضح ذلك في اهتمام الحداثيين العرب بالثورات الباطنية، ورجال التصوف، وحرصهم على إبراز ذلك، واعتبار تلك الثورات والحركات الصوفية اتجاهات تمردية رفضت

¹ - محمد بن أحمد بن عبد العزيز العلي - الحداثة في العالم العربي دراسة عقديّة ص 303

² - المصدر نفسه ص 335

³ - المصدر نفسه ص 338

السائد والمألوف، وثارت على الثابت والمعروف في العقائد والشرائع والسياسات.

من أمثال أدونيس وهو نصيري باطني، و زوجته خالدة سعيد والحدائي المصري جابر عصفور .

ويذكر الدكتور ابراهيم بن عمر السكران : مجموعة كبيرة من الحدائين الذي كان ناقدا لهم في بعض أعمالهم وكتاباتهم وذكر منهم، حسن حنفي، نصر أبو زيد اليساري العلماني الذي قال : (أن الإستخدام النفعي الذرائعي للتراث، كان نهج منكري التنوير، وهذا الذي عاقهم عن تحقيق انقطاع جذري عن النقيض السلفي¹).

ومن أمثلتهم نور خالص مجيد الأندونيسي ومحمد علي وعلي الجابري والقائمة تطول في ذكر هؤلاء الحدائين كان لهم تأثيرا كبير في الساحة الفكرية العربية الإسلامية.

¹ ابراهيم بن عمر السكران – التأويل الحدائي للتراث ط 1 دار الحضارة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية 1435هـ 2014م ص66

المبحث الثاني: نماذج نقدية لأهم القضايا الحداثية المعاصرة عند الدكتور محمد عمارة

المطلب الأول: نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية

المطلب الثاني: نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية

المطلب الثالث: نقد لشبهات حداثية حول مكانة المرأة في الإسلام

المطلب الرابع: نقد محمد عمارة للداثيين في موقفهم من النص

الديني

المبحث الثاني: نماذج نقدية لأهم القضايا الحداثية المعاصرة تمهيد:

إن المتتبع للقضايا المعاصرة التي تدور في أوساط مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وما يواجهه العالم العربي والإسلامي، من حملة استقطاب من قبل الدول الغربية، والمتمثلة في التيار الحداثي الذي تقوده طائفة من أبناء جلدتنا، المتشعبة بالأفكار والفلسفات والقيم الغربية، والمنبهة ببهرجها الخادع والفتان، وبالأفكار الدخيلة على المجتمع العربي الإسلامي، التي تسعى إلى القطيعة مع الموروث الثقافي والديني المستمد من روح الحضارة العربية الإسلامية، أصبحت تشكل خطراً وتهديداً يستوجب رفع راية الجهاد بالفكر والقلم، ضد هذه الأفكار والقيم التي تساهم في مسخ وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، فخرج لهؤلاء المغتربين والمغتربين فئة من الذين اصطفاهم الله تعالى وقضهم، وكانوا من خيار الدعاة والمفكرين منهم الدكتور والمفكر الإسلامي البارز محمد عمار، الذي انكب على نقد ونقض عرى الحداثة الغربية، وتقويض دعائمها بما حملته من شبهات حول العديد من القضايا المعاصرة، التي أخذت منزلقات فكرية وعقدية من طرف هؤلاء الحداثيين، الذين يدعون الحضارة والتقدم، فكان رده ونقده رحمه الله نقداً بناءً يتسم بالوسطية في الطرح والجدال والمناظرة، والاعتدال، والرد على هؤلاء الحداثيين بمصادقية من كتبهم ومقالاتهم كما كتبوها، مع محاولة لإيجاد البديل والمتمثل في إحياء تيار التجديد والإصلاح الذي تبلور في فكر وطرح الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده رحمهم الله.

وفي هذا يقول الدكتور محمد عماره: (حتى لا ندع مجالاً للإستنتاج"، أو "التأويل"، أو "الإدعاءات"، ونحن نقدم نماذج لهذه الحداثة الغربية... فإننا سنقدم نصوص أصحابها، كما كتبوها ونشروها، تاركين الحكم عليها وعلى موقفها من ثوابت الإسلام للفطرة السليمة التي تقرأ وتتأمل هذه النصوص. ولنتيح -أيضا- فرصة النظرة المقارنة بين نصوص حداثه القطيعة مع الموروث هذه، وبين نصوص التجديد الإسلامي، التي سبق وأوردناها لرواد مدرسة الإحياء والتجديد)¹.

ومن خلال ما سبق، من كلام الدكتور محمد عماره، سنتطرق ونشير لأبرز وأهم القضايا الفكرية والحداثية التي تناولها بالبحث والنقد في كتبه وحوارته ومناظراته مع أصحاب التيار الحداثي، مثل العلمانية والماركسية وشبهات حول قضايا المرأة في الإسلام وقضية موقف الحداثيين من النص الديني، حيث سنتطرق إلى كل نموذج من هذه النماذج بعون الله تعالى.

¹-الدكتور محمد عماره-مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحضارة الغربية -مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - مصر ط 1 سنة 1423هـ-2003م ص 27

المطلب الأول : نقد الدكتور محمد عماره للعلمانية

لقد انبهر كثير من مثقفينا المُحدّثين، بالعلمانية الغربية، فتنبّوها ودعوا إلى سلوكها في نهضتنا، كما سلكها العالم الغربي في طريق نهضته، وثورته الفكرية والصناعية والتكنولوجية، فنظروا إلى إسلامنا بمنظار غربي، وتناسوا علاقة الدين بالدولة والسياسة، وابداع العقل الشرقي المسلم الذي كوّن حضارة مترامية الأطراف أبدعت في شتى العلوم والمعارف، وشكلت مهذاً وبناءً ومرتكزاً للنهضة الصناعية الأوروبية الحديثة.

ومن هنا يتحدث الدكتور محمد عماره عنهم فيقول: (لقد شوّهت المناهج الغربية رؤاهم، وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية، وخلافتنا كهانة، وقرآننا انجيلاً، وشريعتنا قانوناً رومانياً، ومن ثم رأوا أن "الحل العلماني" هو طريقنا إلى النهوض، كما في سياق النهضة الأوروبية الحديثة).¹

مصطلح العلمانية:

يرى الدكتور محمد عماره أن مصطلح " العلمانية" هو الترجمة التي شاعت بمصر والمشرق العربي للكلمة الإنجليزية SECULARISM بمعنى الدنيوي والعالمي والواقعي - من الدنيا والعالم والواقع -المقابل للمقدس أي الديني، الكهنوتي النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها والذي قدس الدنيا قداسة الدين، والذي ثبتت متغيراتها العلمية والقانونية والاجتماعية قداسة الدين.²

و مما سبق يرى أن العلمانية، كنزعة سادت أقطاراً و أقطاباً عديدة ، في الفكر الحداثي في العالم العربي والإسلامي، لا يمكن فهمها وفهم الموقف

¹ - د محمد عماره -العلمانية بين الغرب والإسلام- ط1 سنة 1414 هـ، 1996م دار الدعوة للنشر

والتوزيع الكويت ص 39

² - المصدر السابق ص 5

الإسلامي منها إلا بالرجوع إلى منطلقها، وهو الحضارة الغربية الأوروبية المستمدة من جذورها، الإغريقية الفلسفية، وتراثها الروماني، والإضافة المسيحية لها، التي ساهمت في نشأتها.

إن المتتبع لتاريخ سيطرة رجال الدين والكنيسة، على مقاليد السلطة، وسيطرتها على الملوك والأباطرة عن طريق مباركة رجال الدين والكنيسة لهم وتعيينهم، وإضفاء سمة القداسة على ذلك، كله ساهم في الانحطاط الحضاري الأوروبي، الذي أثمرته سلطة الكنيسة بتقديس الدولة وحكامها، حيث جمدت الحياة الاجتماعية وعلومها .

في خضم هذه المعطيات، انبثقت "النزعة العلمانية" التي فجرتها فلسفة التنوير الأوروبي، والتي أقامت قطيعة كلية مع الموروث الديني والحكم الكهنوتي، والتي أحلت التجربة والعقل محل الدين واللاهوت، وفصلت الدين عن الدولة، والأرض عن السماء، و جعلت ما لقيصر لقيصر ومالله لله، والتي جعلت العلم مكتفياً بذاته، دون الرجوع إلى الله وعزلت الأرض عن السماء انطلاقاً من الحكم بفلسفة أن العلم يدير شؤونه بذاته.

ونظيراً لهذا التيار العلماني الذي أراد عزل التدبير عن الخالق، وترك الإنسان والكون يدير شؤونه لوحده، ظهر بالمقابل تياراً آخرًا غير هذا التيار الملحد، حيث أراد هذا الأخير المزج والتوفيق بين الوجود الإلهي، وبين العلمانية التي كانت ترى بإكتفاء العالم بذاته .

ومن أمثال هؤلاء "هوبز" (1588م-1679م) و "لوك" (1632م - 1716م) و "روسو" (1712م - 1778م) وهم كثر، فحصر هؤلاء تدبير الاجتماع البشري في سلطة البشر المتحررة، من شريعة الله، وكان هذا من منطلق تصور "أرسطو" لنطاق العمل لذات الإلهية .وفي مجمل الكلام

نستطيع القول العلمانية، كانت ترى في الذات الإلهية مجرد خالق للكون، وترك شؤونه بعدما ترك فيها أسباب عملها .

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عمارة: (هكذا استندت العلمانية، في تأسيس دنيويتها على التصور الأرسطي، لنطاق عمل الذات الإلهية فهو مجرد خالق، فرغ من الخلق وانحصرت عنايته بذاته، دونما رعاية أو تدبري للمخلوقات، كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور).¹

هكذا استطاعت العلمانية أن تنشأ في مناخ التنوير الغربي، ونجحت في عزل السماء عن الأرض وحررت البشر من الضوابط الشرعية الإلهية، ومن القيود الكنسية، وجعلت هذا الإنسان سيّدا في عالمه ودنياه فزودته بثمرة عقلانية التنوير الوضعي، حيث جعلت له العقل والتجربة محل الله والدين حتى أن أحدهم كان يقول: (فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله في إيديولوجيا التنوير، التي أقامت القطيعة الإبيستمولوجيا الكبرى، التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس "توما الإكويني" وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير...فراح الأمل ينزاح بمملكة الله، ينزاح لكي يُخلّي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته....وراح نظام النعمة الإلهية، ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة...وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشري الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية).²

¹المصدر السابق ص 8

² - أمبل بولا - الحرية . العلمنة (حرب شطري فرنسا ومبدأ الحداثة) منشورات سيرف باريس 1987م . نقلا عن هاشم صالح. مجلة الوحدة المغرب عدد فبراير مارس 1993 ص 20-21

هذا مكان يقوله أحد دعاة التنوير العربي، فكانت كل غايتهم عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان في تدبير العمران البشري محل الله تعالى الله عما يقولون.

ومما سبق يمكن القول أن الحداثة الغربية، استطاعت أن تؤثر بهذا الفكر العلماني، على العقل العربي والمسلم، وأن تتركه يوافق على جميع معطياتها ويحاول التخلص من قيود القوانين الإلهية والشرعية الإسلامية، واعتبارها له سجنًا في حياته العلمية .

دخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية نتيجة الغزوات الإستعمارية:

كان للنزاعات الغربية، في شتى المناطق العربية، نزغات فكرية في المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية، على أعداد هائلة من العقول العربية، فكان لغزوة "نابليون بونابرت" (1769م - 1821م) حيث استهدفت هذه الغزوة العقل العربي واحتلته، واستبدلت فكره وغيّرت هويته، مع احتلال الأرض ونهب الثروة، واستعباد العباد، فكانت العلمانية وافداً جديداً على هذه المنطقة وترجمت في المعجم الفرنسي العربي الذي صدر سنة 1828م، الذي وضعه "لويس بَقَطْرُ المِصْرِي" الذي خدم جيش الإحتلال الفرنسي في مصر ورحل معه، ليدرس العامية المصرية في مدارس باريس .¹

وقد أخذت العلمانية تسري شيئاً فشيئاً، في كل موقع حلت به الغزوات الغربية المدمرة، وتحل هذه النزعة تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل الإسلامية، ويحل القانون الوضعي العلماني، وتطمس هوية الدين والشرعية الإسلامية وفقه المعاملات² .

¹- د . السيد أحمد فرج، علماني و علمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد 02 ص 101-110 سنة 1986م

²- د محمد عمارة - العلمانية بين الغرب والإسلام، ص 10

وعلى سبيل الذكر أيضا، في الجزائر وتونس، جعل الاستعمار الغربي القانون وضعيا، مكان الشريعة الإسلامية، حيث كان يقول عبدالله النديم (1845م-1896م): (إن دولة أوروبا لم تدخل بلدا شرقيا، باسم الاستيلاء وإنما تدخل باسم الإصلاح، بث المدنية وتتادي أول دخولها بأنها لا تعترض الدين ولا للعادات، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئا فشيئا، كما فعلت فرنسا وتونس، حيث سنت لهم قانونا فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضا أخذت تُحوّل كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعا لنطاق النسخ الديني ولم تلبث أن جاريها في مصر وأخذنا بقانون يشبهه¹.

مما سبق يمكن القول أن القانون العلماني، نسخ الدين ومسح الشرع، بفعل ونتاج الغزوات الأوروبية، التي نخرت جسد معظم الدول العربية والإسلامية وساهمت في تشويه صورتها، بالفكر العلماني، لم يتوقف المفكرون في العالم الإسلامي من الكتابة في خضم إصلاح العقل الإسلامي والرد على هذه الأفكار المقيتة، والشبهات المميته، حيث أطلق رفاة الطهطاوي صيحة تحذير ضد البوق العلماني الذي دنس المؤسسات القضائية والتشريعية بل جاء عموم الاختراق العلماني عندما احتل الإنجليز مصر في كثير من مؤسسات الدولة وأسأل الكثير من الحبر في ذلك .

ومن خلال ما تطلعنا إليه فإننا استنتجنا أن الدكتور محمد عمار قد وضع ألوانا جديدة، مشيرا إلى أبرز نماذجها مثل :

¹عبدالله النديم مجلة الأستاذ العدد 22 29 جمادي الثانية 1310 هـ الموافق ل18 جانفي 1893م ص515، 514

-الفرض القسري للعلمانية عن طريق الحروب الاستعمارية وما تخلفه وراءها من حكومات وأنظمة تحمل نظرة غربية علمانية مثل تونس.

-إحلال القانون العلماني ذي الصياغات الحديثة، في الفراغ الناشئ، في ظل عدم تقنين الفقه الإسلامي في تسيير شؤون الدول الإسلامية.

-دعائي وحدة القانون بيننا وبين الغرب، وبين الغرب، لأن العقل الشرقي هو كالعقل الغربي، كلاهما يوناني، وفقه الرومان هو مكوّن من مكونات حضارتنا كما هو الحال في الحضارة الغربية .

-مزاعم خلو الإسلام من مرجعية وحاكمية في الدول والسياسة والاجتماع ومن ثم في فقه المعاملات، لأنه كالنصرانية -علماني- يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بمعتقديه عند ما هو لله.

-اتخاذ الأقليات أداة اعتراض على حاكمية شريعة الإسلام، مثل مشكلة الأقباط في مصر، والصابئة والطائفة الأزيدية في العراق¹.

ومن خلال ما ذكره الدكتور محمد عمارة، يمكن الاستنتاج أن هذه الألوان لم تفلح، في اختراق العقل الإسلامي، بل تشلت قطيعة مع هؤلاء العلمانيون بروابطهم العقلية والوجدانية، بتصاعد المد الإسلامي، وتكشفت خبائثهم في اختراق النسق الإسلامي من خلال :

-علمنة الإسلام باختزال البعد القانوني فيه ومن أبرز رواده محمد سعيد العشماوي الذي تصد للمد والصحوّة الإسلامية.

- علمنة الإسلام بدعوى تاريخية الأحكام، عن طريق باب التأويل لكل ظواهر النص الديني، والقول بأنّ ما جاء به القرآن الكريم من أحكام

¹ - د محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ط 1 سنة 1423 هـ 2003م دار الشروق ص55

والسنة النبوية من أحاديث هو "تاريخي وتاريخاني" أي أنه كان صالحا لتاريخ نزول هذه الأحكام فقط، ومن دعاة هذه الفكرة الدكتور ناصر أبوزيد.

- وفي الأخير من خلال ما اطلعنا عليه، في تاريخ العلمانية، وتأثيرها على العقلية الإسلامية، وما قام به الدكتور محمد عمارة من جهود في نقد العلمانية يمكن أن نرفض العلمانية من المنطلقات والأسس التالية:
- تحل ما حرم الله وتتجاوز حدوده والشرعية الإسلامية الغراء عن طريق الإباحية .

- أنها تحمل الكفر البواح، من خلال فصل الدين عن الحياة، والحكم بغير ما أنزل الله. قال تعالى: ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) سورة المائدة: 50. وقال تعالى: ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) النساء 59

-افتقادها للشرعية في العالم الإسلامي، لأن الجماهير في العالم العربي والإسلامي، تعتقد أن حكامهم يحتكمون إلى الشريعة الإسلامية وهم خلاف ذلك، لأنه حال سنهم لبعض القوانين غير الشرعية، تخالفهم الجماهير، فلذلك ليست لهما طاعة مطلقة مثل الطاعة لله ورسوله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء 58 – 59.

وفي الأخير من حقنا أن نسعد بإسلامنا المستعصي على العلمنة، والمقاوم للاختراق العلماني والذي ضمن بقاء العلمانيين في بلادنا، بعد قرنين من الدعم الاستعماري، شريحة معزولة ومنبوذة تعاني من الرفض، بل والاحتقار من المجتمع العربي الإسلامي .

إن الشريعة الإسلامية ربانية المصدر واقعية وشمولية وصالحة لكل زمان ومكان، وباقية آباد الدهر، متجددة مع الحفاظ على مبناها ومصدرها، ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها أمر دينها).¹

المطلب الثاني : نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية

ظهرت الماركسية كمذهب وتيار فكري، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، وسميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس (1818م-1883م)، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك، والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحتة، بعيدة عن الميتافيزيقية والمثالية تدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج، والتي تملكها الطبقة الرأسمالية وطبقة البروليتاريا الكادحة، وتطور المجتمع من طبقة إلى أخرى، حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات، كما وضع قوانين جدلية وتاريخية واتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب ولم تضمحل الرأسمالية لتحل محل الاشتراكية ومن ثمة الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين، لنقد نظريتهم ونعتها بالناقصة، ليأتي من بعده تلامذته، والمعجبين من المفكرين بنظريته، واتبعوا خطاه، ودرسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه، فوجدوها تحوي نقائص مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية، واكتشاف طبقة وسطى، في المجتمع

¹ - أبوداود سليمان بن الأشعث السيجستاني، سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج 4 المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان رقم الحديث 4291 ص109

واضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة، عن كارل ماركس، مع حفاظهم على الأساس ولب النظرية الكلاسيكية .

إذا يمكننا القول أن الماركسية، حركة فكرية اقتصادية اجتماعية، سميت كذلك نسبة لمؤسسها الأول كارل ماركس .

ويعرفها الدكتور محمد عماره بقوله : (إن الماركسية كما يعلمها المبتدئون والمتعمقون، وأنا واحد من الذين درسوها، وعاشوا تجربتها النظرية والعلمية قبل ما يقرب من النصف قرن، هي فلسفة مادية... ترى كما يقول واحد من أساتذتها أن المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها).¹

وفي هذا الشأن فإن الدكتور محمد عماره، ينظر إلى الماركسية، بأنها فكر يدعو إلى تبني النظرة الإلحادية، بعدم تبرير وجود الخالق، (لإله والحياة مادة) و(أرحام تدفع وأرض تبلع)، وأن الاعتقاد بوجوده فكرة رجعية، فالله في نظر الماركسية خرافة، حيث يقولون : (إن الشعوب في لحظات الضعف اخترعت الآلهة، وفي لحظات القوة حطمتها) .

ويفسر الدكتور محمد عماره، أن هذه الأخيرة، تقوم على النظرية المادية الجدلية التي فسرت بها العالم، والخلق والوجود والمصير والتاريخ والفكر والدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة.... الخ.

يقول الدكتور محمد عماره، إذا كانت النظرة المادية الماركسية للعالم، لا ترى في الوجود شيئاً سوى المادة، وأنها لا تعترف إلا بها في عالم الماهيات والمفاهيم والأفكار، ومنه فإن هذه النظرة المادية قدمت الكثير في نشأة الفكر

¹ د محمد عماره، التفسير الماركسي للإسلام، ط2 1422هـ-2002م، دار الشروق القاهرة مصر ص34

والدين، ولقد تأثر كل من قرأ هذا الفكر بهذه النظرية المادية والفكرة الماركسية، ومن هؤلاء الذين تأثروا بهذا الفكر، الدكتور نصر أبو زيد معتمداً على "نظرية البناء الفوقي والقاعدة المادية" وأن المادة والواقع، الاقتصادي والاجتماعي والفسولوجي، هما مصدر الفكر.

إذا الفكر هو نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه، ومن حيث نتائجه... والمادية الجدلية، تعتبر الفكرة انعكاساً لواقع موضوعي، وهي تؤكد في الوقت نفسه التأثير العكسي للفكرة على تطور الواقع العكسي للفكرة على تطور الواقع المادي، بهدف تحويله... وتتخذ الماركسية نقطة انطلاقها مما يكمن في أساس، كل مجتمع إنساني، أي طريقة الحصول على وسائل العيش، وتقيم الصلة بين هذه الطريقة والعلاقات، التي يدخل فيها الناس في عملية الإنتاج، وهي ترى (الماركسية) في نسق هذه العلاقات الإنتاجية، الأساس والقاعدة الحقيقية في كل مجتمع، عليه يرتفع بناء فوقي وقانوني واتجاهات مختلفة للفكر الاجتماعي.¹

ومنه نستخلص أن المادة والواقع الاقتصادي والاجتماعي، هما النظرية الأساسية التي تقوم عليها القاعدة الماركسية، والتي يعرفها ويعلمها عوام وخواص الماركسيين والدارسون لها. ومن هذا الأساس والمنطلق، أقام الدكتور محمد عمارة، النقد بالحجة والدليل والبرهان، على بطلان وزيغ نظرية الدكتور نصر أبو زيد التي ينظر فيها بالمنظار المادي الماركسي وهو يحلل القرآن والوحي والنبوة والعقيدة والشرعية، وتاريخية النصوص.

¹ - الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفييت بإشراف م روزينثال : ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة 1974م، أنظر المصدر السابق ص 34

وفي هذا السياق، فقد وضع الدكتور محمد عمار، بعض الشهادات والأدلة والأقوال التي تقيم الحجة، على الدكتور نصر أبو زيد في تبنيه للفكر الماركسي ويؤكد هذا، شهادة الماركسيين له، كالأستاذ محمود أمين العالم بقوله: (أن الدكتور نصر أبو زيد أحسن من يحلل النص)¹.

ويضيف الدكتور محمد عمار قائلاً: حتى لا يظن أحدٌ أنني أتحمّل على الدكتور نصر أبو زيد، في انتمائه للفكر الماركسي وتبنيه لمرجعياته، سأقدم نماذج من نصوصه وأقواله التي تؤكد وتدعم أقوالنا فيه، حيث يورد الدكتور نماذج من أقواله تقتصر على ذكر أهمها.

يبني الدكتور نصر أبو زيد توجهه الماركسي بنظرية (البناء التحتي والبناء الفوقي) حيث يقول: (إن الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية، هي آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة... وإن البنى التحتية والفوقية تتفاعل في جدلية معقدة)².

فإنه يطبق هذه النظرية على نشأة الدين، حيث يربطها بالبعد الاقتصادي، حيث يرى أن البحث عن دين إبراهيم إِبَّانَ ظهور الإسلام كان بحثاً عن هوية العرب، التي تهددها المخاطر الاقتصادية وضيق مواردها، فهو يربط الدين بالنظرة المادية الاقتصادية.

تبنيه للرؤية المادية للقرآن الكريم، ومخالفته للخطاب الديني في مسألة نزول القرآن إلى الواقع الأرضي، منطلقاً من المادية الجدلية بقوله: (إن القرآن قد تشكل في الواقع وصعد منه ولم يهبط إليه، وإنه لم يكن له قبل تلاوة النبي له وجود مفارق للواقع الذي شكَّله فَتَشَكَّلَ، وَفَعَلَهُ فَاِنْفَعَلَ، نصاً

¹-د محمد عمار التفسير الماركسي للإسلام . ص 36

²- د نصر أبو زيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) طبعة القاهرة سنة 1990م ص 72

ومفاهيم ودلالات ..فهو ثمرة للواقع ..ولاشيء هناك غير الواقع..أما الإيمان بمصدر إلهي للقرآن، فهو كلام يقال، وفي الأخذ به طمس، لهذه الحقيقة التي وصل وانفرد بها الدكتور نصر أبوزيد عندما طبق المنهاج الماركسي في المادية الجدلية على القرآن الكريم .

ويرد الدكتور نصر قائلا :إن النص (القرآن) تشكل من خلال ثقافة شفاهية والوقائع هي التي أنتجت النصوص، ففي مرحلة تشكّل النص في الثقافة، تكون الثقافة فاعلا والنص منفعلا، وتكون الثقافة فاعلا والنص مفعولا¹.

ومن خلال ما سبق فإن الدكتور محمد عمار يرد عليه قائلا: (لقد تواترت في القرآن الكريم، الآيات المحكمات، التي تتحدث عنه باعتباره تنزيلا، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام، من لدن رب العالمين على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ سورة البقرة الآية 176

وقال تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾ سورة الإسراء 107.

فهذه نماذج من الآيات الصريحة والصحيحة البيان، والمحكمة التي دلت على أن القرآن كلام الله، قد نزل من عند الله إلى الواقع الأرضي والعالم البشري .

وفي الأخير نرد على المشككين من الماركسيين، الذين يرون أن الدين وسيلة لخداع الناس، خاصة الطبقة الضعيفة من المجتمع من الفقراء

¹ - د نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني طبعة القاهرة سنة 1992م، ص 44

والمساكين والمتعصبين، الذين يرون أن الحياة مادة تحكمها الطبيعة، بقوانينها التطورية، فلا إله ولا أخلاق، وصلاح الناس إنما في شيوعيتهم، لا في تدينهم

ولا في إسلامهم، ذاهبين إلى أن النظرة الشيوعية الماركسية تغني عن التدين عموماً والإسلام خصوصاً.

وفي هذا السياق يشير الدكتور يوسف القرضاوي بقوله: إلى أن الشيوعية، هي العدو الثالث للإسلام والمسلمين، بعد الاستعمار والصهيونية. فيقول: (تعد الشيوعية عقيدة وفكرة ومذهباً، كما أنها نظام دولة وحكومة، منبثقة عن العقيدة فهي باعتبارها عقيدة وفكرة تعادي الأديان كلها، وتخص الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة، إنها فكرة مادية تقوم على فلسفة (المادية التاريخية)، التي قال بها ماركس والتي لا ترى وجوداً إلا للمادة، ولا تؤمن بما وراء المادة، أو الحس (الميتافيزيقا) وما دام الله الخالق للكون والإنسان، غير مادي بمعنى أنه لا يرى ولا يلمس، ولا يشم، ولا يذوق، ولا يدرك، بأية حاسة من الحواس المعروفة، فهي لا تؤمن بوجوده بل لا تعترف بحاكميته لخلقه، ولا بحقه -جل شأنه وعلاه- في أمرهم ونهيهم والتشريع لهم).

إن فلسفة ماركس تؤكد ما قاله الفلاسفة الماديون قديماً وحديثاً، مثل: "فويرباخ" الذي قال: (ليس صواباً أن الله خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله!) تعالى الله عما يقولون، فالدين في نظر الشيوعيين خرافة روجها طبقات الملوك والنبلاء والأثرياء، والإقطاعيين وأمثالهم لإلهاء الفقراء والطبقة الكادحة والمسحوقة في المجتمعات البشرية عن المطالبة بحقوقهم، والثورة على ظالمهم، على أمل أن يعوضوا عن ذلك

في الجنة، والدين بهذا الاعتبار، ويعد مخدرا أو أفيونا للشعوب، كما قال ماركس ومن تبعه.

والشيوعية لها فلسفة في تفسير الكون والحياة والإنسان، والتاريخ تناقض فلسفة الإسلام وفكرته الكلية في تفسير هذه الأشياء فالكون هو هذا المادي المنظور، ولا يوجد كون آخر غير منظور، ولا يوجد خالق يدير هذا الكون والحياة هي هذه التي نعيشها ولا حياة أخرى وراءها للحساب والجزاء. هو هذا الغلاف الطيني المادي الذي نراه ولا روح فيه، والتاريخ إنما تحركه وتسيره عوامل اقتصادية بحتة، وعلاقات الإنتاج وأساليبه هي التي تحدد مسيرته¹.

وأما العوامل الروحية والأخلاقية والفكرية، فليس لها اعتبار يُذكر والشيوعية تقوم على فلسفة حتمية الصراع بين الطبقات، وقد كانت روسيا مقرا لقيام الشيوعية، لكثرة أقطاب اليهود القاطنين فيها ولوجود مجموعة من منكري اليهودية والمذاهب الاشتراكية على أرضها أمثال: لينين وترتسكي وستالين².

مما نستخلصه، أن الشيوعية تحارب الإسلام بأساليب متنوعة، كالدراسات الخبيثة المضللة، والتخريب داخل المجتمع المسلم، وتضليل الضعفاء بالشعارات البراقة فلا يفكرون إلا بالهدم والتدمير والثورة على الأنظمة، وتحريض الحكومات العلمانية بضرب الحركات الإسلامية ومقاومة

¹- دكتور يوسف القرضاوي، أعداء الحل الإسلامي، ط2 1425هـ 2004م مكتبة وهبة القاهرة مصر ص 105 ص 106

²- دكتور عبد الرحمان عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ط4 دت، دار الجيل بيروت ص 115 ص 116

الاتجاه الإسلامي، وشن حملات تضليل وتشويه وتزييف لهذه الحركات الإسلامية والإصلاحية، كما حدث لحركة الإخوان المسلمين في مصر. إن الماركسية تنظر إلى الإسلام على أنه السد المنيع والعائق وراء طريق انتشارها، حيث يقول أحد زعمائها: (لن تنتشر الشيوعية في الشرق الأوسط، إلا إذا أبعدنا أهلها عن تلك الحجارة، التي يعبدونها في الحجاز، وإلا إذا قضينا على الإسلام).

إذا من هذه المنطلقات نرفض الماركسية لعدة أسباب منها :

-الماركسية الشيوعية مذهب مادي ضد الدين والعقيدة فلا تؤمن بالخالق .
-أنها ضد الشريعة فلا تقبل أحكامها من معاملات، ولا تعترف بالله وأنه الأمر والناهي، كما ترفض أحكام الشريعة في الملكية، وأحكام العقوبات الإسلامية.

-الماركسية الشيوعية ضد الأخلاق الفاضلة، وضد الحرية، فهي دكتاتورية تقوم على وأد الحياة السياسية، والإضطهاد والتعذيب والسطوة على الحكم.
- الماركسية الشيوعية، ضد وحدة الأمة لأنها تؤجج الصراع الطبقي، ضد بعضها والإسلام يؤاخي بين هاته الطبقات، في إطار الصدقات والزكاة والتكافل الاجتماعي...الخ.

-الماركسية الشيوعية أداة صليبية في حربنا، تهدف إلى إخراجنا من ديننا، بدل الحملات الصليبية والتتصيرية الفاشلة في العالم الإسلامي، لأن الكنسية ترى هدمنا، ولو بمعاول وأيدي الجيش الأحمر .

-الماركسية الشيوعية مذهب لا يخدم الإسلام ولا حاجة له به، لأنها جاءت تعالج مشاكل الرأسمالية، أما الإسلام فقد وضع ضوابط وأطر حدد فيها الثروة، ويقر الملكية الخاصة ويحميها، فيلزم المسلم بواجب الزكاة، ليقوم

التوازن الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، ويرى أنه مستخلف في ماله، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الأنعام 165.

إذا فالماركسية الشيوعية، عقيدة ومذهب فكري، أسسه اليهودي كارل ماركس، معادي للأديان جميعا، ويخص الإسلام بهذا العداء، كما يمكننا القول أنه ذو صبغة ماسونية، لأنه لا يعترف بالله الواحد القهار، ولا بالوحي ولا بالرسول ولا يرى الوجود إلا مادة، ولا يؤمن بما وراءه، أي الخالق لهذا الكون، ولهذا وقف الإسلام موقف العداء منه، فحذر علماءنا ومفكرينا منه، وحاربوا من تأثر به ودعى إليه، ولقد تلاشت الماركسية في العالم كونها لم تحقق النفع والإصلاح الاقتصادي .

المطلب الثالث: نقد لشبهات حداثية حول مكانة المرأة في الإسلام

إن من سماحة الدين الإسلامي، أنه أولى اهتماما بالغا، بالمرأة المسلمة، حيث يتضح لنا جليا من خلال آيات الكتاب العزيز، التي وضعت، وأرست قواعد الرحمة، والمساواة، في التعامل مع المرأة بعد الظلم الذي كان واقعاً عليها في الجاهلية، و المتأمل في كتاب الله تعالى، يجد أن القرآن قد أفرد سورة كاملة خاصة بأحكام النساء إكراما لها، فقد حافظ على حقوقها وصانها، من المهد إلى اللحد، و من عزة الإسلام أنه أقر لها حقوقا، لم ترد في الشرائع الأخرى أو القوانين سواء كانت شرقية أو غربية، فلم يأت أي منهم بما جاء به الإسلام، فمن الغريب، والعجيب أن نرى دعوات غربية، داخل المجتمع المسلم مدعية تحرير المرأة من التقاليد الرجعية البالية بحسب زعمهم والموروثة من تعاليم الدين الإسلامي التي لم تعد صالحة في عصرنا هذا،

الذي طغت عليه المدنية، ودعوات الحداثة، و التحرر، و رفع القيود عن المرأة.

وهذا ما نلاحظه في عصرنا الحالي، أن المنهج الغربي يظل ينظر إلى المرأة المسلمة، نظرة تحمل الكثير من التشوهات التي تجعله يحكم على الكثير من قضاياها وفق ما رسمته صحافته، وإعلامه وحركاته الماسونية التي ترتدي لباس الحرية المزعوم، ساعياً إلى نشر الرذيلة والإباحية باسم حقوق الإنسان، مفتعلاً قضايا لا توجد في عالمنا الإسلامي لهدم الأسرة والمجتمع الإسلامي، ومعتماً على ما يفرزه من أناسٍ من بني جلدتنا تربوا في ظل حضارتهم الغربية، ورضعوا النزعة الحداثية في بلادهم، وأرادوا أن يسقطوا و يطبقوا ما درسوه من مناهج باطلة، على المرأة المسلمة بدعوى كاذبة. فخرجوا بذلك عن المنهج الشرعي، وأقحموا المرأة في مسالك أدت بها إلى المهالك.

إن قضية المرأة تعد من أكبر القضايا التي تشغل العالم، حتى جعلها الغرب النصراني، معياراً لمدى تقدم الدول أو تأخرها، كما استخدمها للضغط على الدول وإجراج حكامها، و وصفهم بالتخلف أو الظلم أو تقييد الحريات، بل ربط الغرب المساعدات التي يقدمها للدول المسلمة بمدى استجابة هذه الدول لمسألة تغريب المرأة .

القرآن الكريم ساوى بين الجنسين :

إذا تصفحنا آيات القرآن الكريم فإننا نجد أغلبها صريحة تتحدث عن علاقة المساواة (الشقين المتكاملين)، لا مساواة (الندين المتماثلين) حتى تعم السعادة ويسود الاحترام ولا يحدث التنافر، وهذا ما سعى إليه شرعنا الحنيف على عكس نظيره في الفكر الغربي .

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ سورة النساء الآية 01

ويقول تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ تُصْرَفُونَ﴾

سورة الزمر الآية 06

بل وذهب الشرع إلى أكثر من ذلك، حينما جعل بين الجنسين المودة، والرحمة حيث أصبحت الأنثى سكنا للرجل، و استقراراً له، فتحققت سعادته وسعادتها في الحياة بهذه المودة، والرحمة وقد جعل الله ذلك آية من آياته حيث يقول تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة

الروم الآية : 21

ونحن لا نجد هذا التحقيق إلا بالمساواة والتمايز بين الأنوثة والذكورية، وإعطاء لكل ذي دور دوره في الأسرة .أيضا نجد أن القرآن الكريم أكد على المساواة في الأهلية وخاصة في حمل أمانات التكليف الشرعي، حيث يقول الباري جل شأنه :

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا﴾ سورة : الأحزاب الآية : (35)

ومن ثمّ يكون كمال المساواة في الحساب والجزاء ولم يقف أمر المساواة في الإسلام، عند الفروض فقط بل واصل حتى الفروع .

إذا أنّ هناك من فروض الكفايات التي توجه فيها الخطاب إلى الأمة جمعاء حتى يؤكد على أهلية المرأة أيضاً، في بناء المجتمع وشد لبناته، ومثال ذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصرها الشرع على الرجال دون النساء، بل كانت المساواة في هذا التكليف بين الجنسين فنجد القرآن يؤكد على ذلك، حيث يقول تعالى :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة : التوبة الآية : (17).

يقول الدكتور محمد عمار: وحتى لا تنشأ في العقل المسلم الملتزم بالمنهاج القرآني شبهة، تناقض بين المساواة والتمييز في علاقات النساء بالرجال، فقد قرن القرآن الكريم بين الأمرين في آية واحدة من آياته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية 228.¹

أما في السنة النبوية أيضاً، جاءت لتجسد المنهج القرآني فقد أعطت للمرأة مكانتها، منذ صدر الإسلام وحررت المرأة المسلمة من قيود العبودية وبرائث الجاهلية، ومثال ذلك ما رأيناه في الاستجابة الخاتمة للرسالة من السيدة خديجة بنت خويلد (556م-620 م) رضي الله عنها، وكانت سمية بنت خياط (07 ق هـ -615 م) أم عمار بن ياسر أول شهداء الإسلام، وكانت أسماء بنت أبي بكر (27ق هـ-73هـ) .ثلاثة الثلاثة الذين اتّمنوا على أخطر

¹د محمد عمار ، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام ص 18

التحولات التي غيرت مجرى الدعوة الإسلامية، هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى المدينة بل أسهمت في التدبير والتنفيذ لها¹.
فالمرأة صارت ركيزة أساسية في الأمة الإسلامية، وعضوا حيا فعالا ومشاركا في شؤون الناس ومثاله، عند صعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر نادى في الناس "أيها الناس" فتسمعه أمة سلمة (596م - 681م) رضي الله عنها التي كانت جاريته تمشط لها شعرها، فطلبت منها أن تجمع لها أطراف شعرها لتسرع إلى المسجد ملبية نداء النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها الجارية، إنما دعا الرجال ولم يدعُ النساء!... تقول أمة سلمة "إني من الناس"²

وما يروي البخاري كيف كانت شورى أمة سلمى رضي الله عنها، يوم الحديبية، الباب الذي فتح على المسلمين به طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحلوا من إحرامهم، ورضوا بما عاهدوا عليه نبيهم بعد أن ظنوا أن المعاهدة قد جارت على ما يستحقون، فمنع الله بشورة أم سلمى الفتنة على المسلمين، في الشأن السياسي العام³.
هذا كله نستطيع أن نستخلص منه أن الإسلام، قد أعطى للمرأة مكانة عظيمة، وشاركها مع الرجل في العام والخاص، إلا أن بعض الغربيين الذين يكيّدون لهذا الدين، وغلمانهم من الحداثيين ممن يسعون دائما إلى تخريب البنى التحتية لديننا الحنيف، برمي الشبهات في العديد من القضايا، وفي جميع المجالات ولكنهم يكيّدون كيّدا وأكيد كيّدا، ولا يفلحون .

¹المصدر السابق ص 22

² - الأستاذ عبد الحليم محمود أبوشقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة ج2 طبعة الكويت تاريخ 1410هـ ص429

³ - د محمد عمارة حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام ص 23

- الصورة التي يريدها الغربيون والحداثيون بزعمهم تحريراً للمرأة :

أراد الغربيون وعلى إثرهم الحداثيون في العالم العربي والإسلامي، أن يحرروا المرأة بزعمهم، من القيود التي تُكَبِّلُها، والتخلف الذي كان يغمرها، فجعلوا لها صوراً تُحررها في جوانب عدة نذكر على سبيل المثال :

أ-تحرر المرأة في لباسها وسترتها: حيث أنهم أباحوا لها أن تلبس ما يصف بدنُها إن لم يكن فتنة، بل وطالبوا الفقهاء بأن يجدوا مخرجاً لإجازة كشف العنق وبعض الذراع وجزء من الساق في حال عملت خارج بيتها وشق عليها أن تستر كل بدنُها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بوجوب التزام المرأة، بقدر من الزينة الظاهرة حتى خارج بيتها.¹

ب- تحرير المرأة في الزواج :هتفوا بحريتها في الاختلاط بالرجال من أجل معرفة شخصية الرجل، ونظموا مصطلحاً جديداً في ذلك سموه (الباحث) حتى يرى تحريرها من المكوث في بيتها.

ج- تحريرها من المكوث في بيتها :فحثوها على الخروج من المنزل، قالوا أن القرار في البيت سبب نقص عقل المرأة، وأن المرأة لا يزداد وعيها وبنضجها إلا بالخروج.²

ومما سبق يمكن القول أنه مهما فصلنا، وتكلمنا على ما أحاكه الغربيون في هذا الجانب، فإننا لازلنا مقصرين في ذلك الجانب، لأنهم كانوا معاول هدم لكثير من المجتمعات، في كثير من الدول العربية، والإسلامية خاصة تلك التي تأثرت بالحداثة، والحداثيين كثيراً، وجرعت مجتمعاتها من سمومهم.

¹-د عادل بن حسن الحمد، المرأة بين الإسلام والعصرانية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند العصرانيين ط 1 مؤسسة الدرر السنية للنشر، الكويت سنة 1433هـ، ص 20

²-المصدر السابق ص 21

ومن خلال بحثنا أردنا أن نعرج على مجموعة من الشبهات، التي أثارها هؤلاء أيضا، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وكان له الرد عليها، وحاولنا أن نختصر بعضها بالتحليل والتفصيل على قدر المستطاع فنقول وبالله التوفيق :

نقد شبهة ميراث المرأة نصف ميراث الرجل:

انطلاقاً من الآية الصريحة والصحيحة من قوله تعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) سورة النساء الآية 11، لاحظنا أن الكثير من المشككين يطرحون هذه الآية كشبهة في عدم المساواة الشرعية في الميراث، ويقدحون في العدالة الإلهية، ولكنهم لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل موقفاً عاماً، ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل من الذكور وكل الإناث، فالقرآن الكريم لم يقل يوصيكم الله في الميراث والوارثين، للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنما قال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) الآية، أي أن هذا التمييز لا يكون إلا في حالات خاصة بل ومحدودة من حالات الميراث.¹

ففي ديننا الحنيف نجد أن تقسيم الميراث، لم يكن مبنيًا على مقياس الذكورة والأنوثة، إنما هناك بعض الحكم الإلهية الأخرى، والمقاصد الربانية، التي خفيت على هؤلاء الحداثيين الجاهلين بمسائل العقيدة والدين لعل بعضها: تقوم القسمة في النصيب للوارث من الموروث على حساب درجة القرابة، فكلما اقترب الوارث من الموروث كان الميراث أوفر وأكثر نصيباً.

¹ -د محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة الإسلام، ط1 سنة 1431هـ 2010م دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع . ص118

ب- الأجيال التي تستقبل الحياة، وتحمل المسؤولية الأعباء في ما بعد موت المورث يكون لها نصيب أكثر من الأجيال التي تستدبر الحياة، وتبتعد على المسؤولية، فنجد مثلاً أن البنت ترث أكثر من الأب ولو كانت رضيعة، ولو كان الأب هو مصدر الثروة لابنه.

ت- ومما سبق فيمكننا أن نقول تفاوت الأنصبة للوارثين والوارثات في هذه المسألة التي يغفل عنها كثير من الغالين، الذين يحسبون أنها شبهة تضر بأهلية المرأة فإن المتتبع لمسار الميراث في علم الفرائض، وضح ذلك وبين الأفكار المغلوطة لهؤلاء، فلو ركزنا على الموضوع الذي يثير شبهة لديها لوجدنا:

1- هناك أربعة حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل .
2- هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.

3- هناك ما يزيد على عشرة حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل
4- هناك حالات ترث فيها المرأة، ولا يرث نظيرها من الرجال أصلاً¹.
ففي المجمل نستطيع القول أنه يوجد أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه وفي بعض الأحيان ترث هي ولا يرث هو، إلا فيما يقابل الأربع حالات محدودة، ترث فيها المرأة نصف الرجل².

فتلك هي ثمرات التتبع إذا نظرنا بجد لمسألة الميراث، وعلم الفرائض التي قسمت فيها الشريعة الإسلامية، وحكمت فيها بمعاييرها وحددت فيها فلسفة الإسلام حيث أنها لم تحكم كما يدعيه الغربيون والحداثيون المشوهون لصورة

¹-المصدر السابق ص 119

²-د صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمارة، طبعة القاهرة، دار نهضة مصر، سلسلة في التنوير الإسلامي سنة 1999م، ص 46

الإسلام. فهنا نرى أن أولى الشبهات سقطت وأن أهلية المرأة باتت مرفوعة كما أقرتها الشريعة الإسلامية رغم كيد الكائدين.

- الرد على شبهة القضاء و ولاية المرأة:

البعض من الحداثيين اعتقدوا أن " ولاية المرأة " كما صورها بعض الفقهاء دليل على عدم المساواة بين الرجال والنساء، في ديننا الحنيف و مجتمعنا المسلم وجعلوا من ذلك شبهة في شريعتنا وتشكيكا فيها، بل يوجد شريحة كبيرة من هذا المجتمع، الذي يظن أن تولي المرأة لهذه المهام والفصل في المنازعات ما بين الناس، من المسائل الشائكة حيث يرون ألا ولاية لها وموقف الشرع فيها بالرفض على توليها للقضاء، والحكم بين الناس ولا اجتهاد في ذلك مع النص .

لذا إذا نظرنا إلى هذه المسألة، نجد أن واقع هذه المسألة إسلاميا، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على أساس، فضلا عن أن يكون هذا الأساس إسلاميا ومتينا.¹

إن الذي عليه أن ينظر إلى هذه المسألة يجب أن يسلط الضوء عليها من جانب الموقف العام، الذي وقفه الإسلام من المرأة، حيث كان ولا يزال محرر لها ويكفي الشريعة شرفا أن القرآن صرح بتلك المساواة، ففي الآية الكريمة التي تقول : (وَلَهُنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) البقرة الآية 238 وبالنسبة للقوامة التي قررها الإسلام للرجال على النساء، ففي بقية الآية : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)، فإنها دالة على الرياسة التي لا تنتقص من حرية

¹-د محمد عمارة، شبهات واجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط 1، مارس 2008 نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . ص 79

المروءوس، فكانت هذه نظرة الإسلام للمرأة، وهذا ما ينبغي معرفته قبل الدخول في باب قضية المرأة لمنصب القضاء.

ومما سبق يمكن أن نلخص الاعتبارات التي كانت متباينة، والنقاط التي كانت محل خلاف بين الفقهاء، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وحاولنا أن نلخصها في جزئيات إلى ما يلي:

أ- إن قضية تولي المرأة لمنصب القضاء، ماهي إلا فكر إسلامي وآراء فقهية واجتهاد فقهاء، وليس ديناً إلهياً أو وحياً منزلاً، على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما القرآن فلم يرفض هذه القضية، كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريفة، لأنها مسألة لم تكن عند ظهور الإسلام فلا نصوص دينية فيها قطعية كانت أو ظنية، فهي مسألة خاضعة للاجتهاد.

ب- تعد القضية عند الفقهاء محل خلاف، باختلاف إجتهادهم، حيث بقي هذا الاختلاف بعدهم، جيلاً بعد جيل، فالقضية لا إجماع فيها حتى يكون هناك إلزام للخلف بإجماع السلف.

ت- إذا نظرنا إلى العصور الإسلامية، التي سبقت وجدنا عدم توليها للقضاء فإن هذا لا يعني " التحريم " بل لم تكن الحاجة في ذلك إلى ولايتها وفي المقابل نجد أنها شاركت في عصر النبوة، في أغلب الغزوات، وعاونت الجند، وداوت الجرحى، وأمدتهم بالسلاح ودفنت الشهداء كما حدث ذلك في غزوة أحد وغزوات أخرى مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، فكان ذلك على حساب العادة والحاجة إلى ذلك.

ث- كانت علة الاختلاف في ذلك، في ظل غياب النصوص الشرعية، حيث منهم من اشترط في تولي الحكم، شرط "الذكورية" كالإمام الشافعي ولذلك أسقط منصب القضاء للمرأة وتفرد به للرجل. أما الذين أجازوا لها ذلك فيما

عدا القضاء، في قضايا " القصاص " و " الحدود " كأبي حنيفة وفقهاء مذهبه، لأن غلبة العاطفة قد تحول بين وبين الموضوعية في قضايا الدماء وقد أجاز الإمام محمد بن جرير الطبري (223هـ - 310هـ/839م - 923م) قضاءها في كل القضايا، وأجمعوا على توليها منصب "الإفتاء" وهو أخطر وأدق المناصب الإسلامية .

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم، أن الثابت في شرط القاضي إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين المتقاضين....وبعبارة أبي الوليد بن رشد (520هـ - 595هـ/1126م - 1198م) فإنه يقول : ((من رأى حكم المرأة نافذا في كل شيء قال :إن الأصل هو أن كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز، إذا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى والخلافة ورئاسة الدولة الجامعة لأمة الإسلام)).¹

وذكر الماوردي (364هـ - 450هـ/974م - 1058م) مثلاً في رفضه مذاهب الذين يجوزون قضاء المرأة، حينما أورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول : (ما أفلح قوم أسندوا أمرهم امرأة).

وحتى نبين من هذا الحديث الذي اتخذته أغلبهم ذريعة وحرموها به المرأة توليها القضاء، وحرموها من حقوق كثيرة بإسم السنة النبوية الشريفة، وحقيقة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم سأل وكان راوي الحديث أبوبكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "من يلي أمر فارس ؟" قالوا: امرأة قال : (ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة).رواه أحمد بن حنبل .

¹-أبي الوليد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج 2 طبعة القاهرة سنة 1974م ص 494

ومما سبق يمكن أن نقول أن صورة المرأة، كانت منذ بداية الإسلام، تأخذ حقوقها كما أقرها الإسلام لها، وكانت بالمساواة مع نظرائها من الرجال، ولهذا يجب نُقَرَّ بشبه الغربيين وسموم الحداثيين الذين رضعوا معهم، من نفس الفكر الحاقد على الإسلام والمسلمين، وأن نبطل شبههم كما نقدها العلماء، بالحجة والبرهان، فلا حجة لهم ولا دليل في ظل السنة الشريفة والتنزيل .

الرد على شبهة الشهادة ونقدها :

مما يزيفه هؤلاء الحداثيين الغالين، ويجعلون شبهه للقدح في صميم الدين، أن هذا الأخير جعل المرأة نصف إنسان، وذلك لأنه جعل شهادتها نصف شهادة الرجل، واستدلوا على ذلك بما جاء في آية المكاتب في أواخر سورة البقرة وكان ذلك في قوله: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَإِمْرَأَتَانِ)) فجعلوا من ذلك شبهة بجعل شهادتها تعدل نصف شهادة الرجل، فأخطوا في ذلك بين "الشهادة" و "الإشهاد" الذي تحدثت عنه الآية الكريمة .

فالشهادة تكون فيما يعتمد عليه القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البيئة، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم¹.

إذا فمعيار الأنوثة والذكورة في نظر الدكتور محمد عمارة، لا يكون جزء وشرطا في الشهادة، وإنما تكون الشهادة باطمئنان القاضي لصدق الشاهد بصرف النظر عن جنسه ذكرا كان أو أنثى، وعن عدد الشهود أيضا، فإذا اطمئن القاضي إلى الشهادة اعتمد على ذلك ولو كان بامرأة واحدة، أو رجل.

¹ - د محمد عمارة، شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام ص 120

أما الآية الركيمة فهس تتحدث عن الإشهاد، الذي يكون من صاحب الدين للإستيثاق، من الحفاظ على دينه، وليس الشهادة التي يعتمد عليها القاضي في الحكم بين أهل النزاع .

كما يبدو أيضا ان هذه الآية نصيحة وإرشاد لصاحب الدين وليست تشريعا موجهها إلى القاضي، وقد فقه العلماء والفقهاء المجتهدون ذلك، كشيخ الإسلام ابن تيمية (661هـ، 728هـ/1263م، 1328م) وتلميذه ابن القيم (691هـ، 751هـ /1292م، 1350م) من القدماء .والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمود شلتوت وغيرهم من المحدثين المعاصرين ¹.

وقال إسحاق ابن منصور، قلت لأحمد في شهادة الاستدلال : (تجوز شهادة امرأة واحدة في الحيض والعدة، والسقط والحمام، وكل ما يطلع عليه النساء) فقال : (تجوز شهادة امرأة إذا كانت ثقة، ويجوز القضاء بشهادة النساء منفردات في غير الحدود، والقصاص عند جماعة من الخلف والسلف) وفصل الإمام ابن القيم كثيرا في هذا الموضوع رحمه الله، في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين (جزء الأول ص 90 إلى 104) طبعة بيروت، إلى أن البحث يطول، ولكن مطلوب منا الالتزام.

كما أطنب في هذه المسألة جمع من المتأخرين من الفقهاء، كالإمام أحمد عبده، وفصل كثيرا في المسألة في سلسلة (الأعمال الكاملة) التي كانت في الدراسة والتحقيق للدكتور محمد عمارة رحمهما الله، لطبعة القاهرة 1993 المجلد الرابع الصفحة 732.

¹-المصدر السابق ص 122

ولم يتوقف هؤلاء العلماء المجتهدون عند هذا الحد بل فصلوا في كل أنواع الشهادات، بين الرجال والنساء ووضحوا موقف الشرع، وما قاله ذلك، لأن ذلك هو منطق الشريعة، وهذا هو العدل بين النساء والرجال .
ويذكر الدكتور محمد عمارة أنه تعمد في إزالة هذه الشبهة لأمرين اثنين.¹
أولهما : يجب أن نترك نصوص الاجتهاد للأئمة التي تبدد غيوم هذه الشبهة ولا تكون بنصوصنا نحن كما قال، كي لا تكون شبهات جديدة في هذا الموضوع .

ثانيهما : أن تكون هذه النصوص للأئمة المبرزين، في إطار السلف والسلفيين حتى نقطع الطريق على غلاة العلمانيين والعلمانيات، الذين استبدلوا البدع الفكرية الوافدة بحقيقة الإسلام .

ويبقى في الأخير أن مناصرة المرأة وإعطائها كامل الأهلية، موقف إسلامي نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، وهو موقف للاجتهاد الإسلامي عبر عصور التاريخ الإسلامي .

كيف يريد الغرب والحداثيون تحرير المرأة؟

يحمل أصحاب دعوات التحرير والتحرر للمرأة، ألوية وشعارات رنانة يظنون بها، إنصاف المرأة، ورفع الغبن عنها في الميدان التاريخي، والاجتماعي، وإخراجها من المآسي التي لحقت بها، والتي عانت منها، ولا تزال تعاني في المستقبل، بل ويجب المساواة بينها وبين الرجال حفاظا على شوق كل جنس للآخر، واحتياجه وأنسبه به .حيث بدأت هذه الدعاوى الغربية للتحرر، منذ القرن التاسع عشر، وكان أثر من أثار الحداثة الغربية، التي

¹-المصدر السابق ص 131

أرادت به، أن تخرق قوانين التراث الفلسفي والاجتماعي والقانوني الغربي، المُحَقَّرُ لشأن المرأة .

أما النزعة الأنثوية المتطرفة (feminism)، والتي تبلورت في ستينيات القرن العشرين، فإنها أثار من آثار "مابعد الحادثة" الغربية التي تحمل كل معالم تطرفها، الذي بلغ بها حدَّ الفوضوية والعدمية، واللاأدرية، والعبثية والتفكيك لكل الأنساق الفكرية الحداثية التي حاولت تحقيق قدر من اليقين الذي يعوض الإنسان عن طمأنينة الإيمان الديني، التي هدمتها الحادثة بالعلمانية والمادية والوضعية منذ عصر التنوير الغربي العلماني، في القرن الثامن عشر¹.

ولذا فقد باتت هذه النزعة الأنثوية نزعة متطرفة، وكانت لها ثورة فوضوية، خرجت على نهج الإصلاح والأخلاق، وطارت من ثمرات الفضيلة وحطت على أشواك الرذيلة، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية . كما دعت هذه النزعات الحداثية، إلى الثورة على الدين وعلى الله وعلى اللغة والثقافة والتاريخ، وحتى على العادات والتقاليد، والأعراف أيضا . وباتت تطالب الأنثى بالاستقلال عن الرجال والتحرر الانحلالي، حتى بلغ هذا التحرر كما يزعمون أكبر قمة الوبال على المرأة، وعلى المجتمع الإنساني بأكمله .

ولو عرجنا على بعض النماذج الشاهدة التي تمثل نزعات متطرفة لهذه الحركات الأنثوية، لعرفنا أن هذه المنظمات، لا تريد إلا الفساد ما استطاعت بالمرأة والمجتمع .

¹-المصدر السابق ص 191

فأبو النزعة الأنثوية الفرنسية الاشتراكي الفرنسي "فورييه" (1772م، 1887م) قد دعا إلى تحرير المرأة على جميع الأصعدة: البيت، المهنة، المدني، والجنسي..... وقال: إن العائلة تكاد تشكل سداً في وجه التقدم. وفيلسوف هذه النزعة "ماركيوز هاربرت" (1898م، 1979م) قد جعل من أسس "نظريته النقدية" (التأكيد على انعتاق الغرائز الجنسية، وإطلاق الحرية الجنسية بلا حدود، سواء من ناحية الكم أو الكيف، أي حتى حرية الشذوذ، بل وتمجيده و بإعتباره ثورة وتمرداً، ضد قمع الجنس، وضد مؤسسات القمع الجنسي... معتبرا التحرر الجنسي عنصراً مكماً، ومتمم العملية، التحرر الاجتماعي... رافضاً ربط الجنس بالتناسل والإنجاب)¹ أما فيلسوف النزعة الأنثوية الكاتبة الوجودية "سيمون ديبيوفورار" (1908م، 1986م) فلقد اعتبرت الزواج: السجن الأبدي للمرأة، ويقطع آمالها وأحلامها! واعتبرت الزواج مؤسسة لقهر المرأة ويجب هدمها وإلغاؤها بل ولقد باتت هذه الحركات التي تحمل نزعات ذميمة، خاصة الغربية منها تضغط على المؤسسات الدينية الغربية حتى خانت رسالة أمتها، حيث أنه صدر سنة 1994م طبعتين للعهد القديم والجديد وسميت "الطبعة المصححة"، وقد تم في هذه الطبعات تغيير الضمائر المذكورة وحولت إلى ضمائر أخرى مغايرة ورأوا في "الإنجاب" عبودية للمرأة.

فبعد هذا كله، هل يعقل مما قرأناه أن الغربيين، ومن تأثروا بهم من أصحاب الحداثة في العالم العربي هل فعلاً حرروا المرأة، وأعطوها المساواة مع الرجل كلا وألف كلا، بل كانوا حريصين كل الحرص على إهانتها

¹- د محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ط1، دار مكتبة البخاري القاهرة، سنة 2009م، ص 39 ص 40

ورميها في أحوال الرذيلة التي تقلل من شأنها وإنسانيتها وتحط من مكانتها في المجتمع بل والمتقصي لتلك الآثار، الاحتقارية للمرأة من هؤلاء يجدها منذ البدايات الأولى لتراثهم الديني للحضارة الغربية، حيث كان هذا الموقف من المرأة ثابتاً، فلو نخرج على بعض النماذج لهذه المقولات التي تحدثت في نظرهم على المرأة، فنقول : كان القديس " بونا فنتيرا" (1221م، 1274م) يقول : (إذا رأيت المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجوداً بشرياً، ولا موجوداً موحشاً، لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت فإن ماتسمعوناه هو فحيح الأفعى¹.

ويرى القديس " توما الإكويني " (1225م، 1273م) أن المرأة ذكر ناقص ولا وجود للمرأة أصلاً، ويسميتها " الخطيئة الأولى ". كما دعا "أوغسطين" (354م، 430م) إلى إخضاعها للوصاية، كما يخضع العقل الضعيف للعقل الأقوى .

ومما سبق يمكن القول والتعريض على كل هذا، أن أسس الحداثة التي تقوم عليها تلك الحرية كحرية التفكير، وحرية المعتقد وحرية السلوك، التي جعل منه الحداثيون العرب خاصة شعارات رنانة ومجدوا هذه الشعارات، ولكن في الحقيقة هي ادعاءات مزيفة .

فلو تمنعنا جيداً في أعظم قواعد وأسس وقواعد الإسلامية، لوجدناها قامت على مبدأ (لا إكراه في الدين) وعلى أن المرأة قد منحها الإسلام الحرية المطلقة في كل ما يهمها وحدها كالأزمة المالية .

فالمشروع الحداثي ضربه التناقض، بأبشع الصور في مبدأ الحرية هذا بالذات وإلا فبما نفسر رفض الكثير من الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا،

¹ - المصدر نفسه ص 59

لارتداء الحجاب لدى المسلمات في المدارس، والأماكن العامة، أليست حرية اللباس حرية شخصية؟ بل يجب أن تكون أولى الحريات الشخصية¹.

فإذا تمعنا جيدا لهذه التناقضات نجد أن الحداثة ترى في بيع المرأة لجسدها حرية شخصية، حيث أنه في الواقع لا حرية لها ولا كرامة ولا يمكن لأي متقف أن يدافع عنها أبدا لأن ذلك يعد صورة من صور العبودية، لا الحرية التي يتغنون بها، والمرأة المحجبة التي تُخفي القيم العتيقة تعتبر آثمة في نظرهم.

فبالمختصر المفيد، وكما يقول الدكتور مصطفى الولي: (الحداثة دفعت النساء إلى الاسترجال، وكلما أردنا أن يَكُنَّ كالرجال ابتعدن عن أنوثتهن، فإِنَّهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة والمرأة، يمكن أن تكونا مزيّتين، إِنَّهن رجال خائبون ونساء فاشلات، ويتعرضن إلى الخطر، يائسات ودون هدف في متاهات الشعور بالدونية، إنها ببساطة الحداثة وتناقضاتها، التي أتعست المرأة وهي توهمها أنها تسير على طريق السعادة).

1- فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقضات الحداثة، الراصد، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد 169 شوال 1483 هـ الخميس 22 يونيو 2017م

المطلب الرابع: نقد محمد عمارة للحداثيين في موقفهم من النص الديني

المطلب الرابع: نقد محمد عماره للحداثيين في موقفهم من النص الديني

بلغ بأصحاب مدرسة الفكر الحداثي إلى أنهم لم يتوقفوا عند الإساءة بالسياسات العامة، ونقد التراث الثقافي والاجتماعي، والطعن في عفة المرأة وردها إلى ميدان العبودية فقط، بل تناولوا على ذلك وبلغوا في طعنهم حتى السيرة النبوية المطهرة، وطعنوا في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا تطلعنا في قراءة كتبهم، سنجد أن أكثرهم تعرض لشخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، أو حتى في كلام الله تعالى المنزل عليه، ومن خلال هذا المطلب سنخرج على كتابين قيمين للدكتور محمد عماره رحمه الله أما الأول فكان بعنوان "التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين"، حيث كان هذا الكتاب بمثابة دراسة نقدية لكتاب: "بسط التجربة النبوية" للمؤلف الإيراني عبد الكريم سروش، والذي يرد عليه فيه الدكتور محمد عماره على أهم الشبهات التي ذكرها في شخص سيد المرسلين .

أما الكتاب الثاني فكان بعنوان: "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي"، والذي يرد فيه الدكتور عماره أيضا، وينقد تلك الفرق الحداثية التي ترى موت المؤلف (علم الهيرمينوطيقا)، و يشرح تأويل بعض المذاهب الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما نحن في هذا المطلب سنخرج على بعض النماذج النقدية للدكتور محمد عماره التي نراها هامة جدا ونحاول تتبع عثرات هؤلاء الحداثيين، وننقد ما وضعوه من شبه، ونلخصها في هذا المطلب وبالله التوفيق .

النموذج الأول : الوحي بشرياً لا نبوياً محضاً

يصور الدكتور عبدالكريم سروش، في كتابه بسط التجربة النبوية، شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أنه "العارف" الذي بلغ المرتبة العالية، و قدرة الكشف الذي تميز به على كثير من البشر، نتيجة للرياضات الروحية التي تمكنه من الإطلاع على أسرار الغيب، حيث يكون هذا الإطلاع بعد "غليان الشخصية" كما سماه الكاتب، فيفرز له هذا الغليان ما يمسى الوحي القرآني والرسالة .

ويؤكد الدكتور سروش ان القرآن والوحي والرسالة، كله يكون نتيجة الغليان وينفي كونه تنزيل من الأعلى .

يذكر الدكتور محمد عمارة على لسان سروش، حيث يقول : (عندما يوسوس الشيطان في واقع الإنسان، وعمقه الداخلي فكأنه يوحي إليه، والأنبياء بدورهم يتعرضون لـ، "وسوسة الملك"، ثم تعرض عليهم الكشوفات)¹.

ويرى سروش أن الوحي يعتبر نوع من أنواع الإشراق، يحدث للنبي فيتعرف على حقائق، و أسرار عالم الغيب وقد يحصل حتى للآخرين كما يقول إلا أن هذا الإشراق يكون ضبابي وغير تام، بينما كشف النبي يكون تام.

ويسهب سروش في كتابه " بسط التجربة النبوية " حيث يقول : (لقد كانت شخصية النبي، بمثابة الخزانة التي تحوي أسراراً وعلومًا ... وهذه الشخصية عندما تغلي، وتفور يطفح الوحي الإلهي من مطاوي كلماتها،

¹ - د محمد عمارة، التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، دراسة نقدية لكتاب بسط التجربة النبوية)،

بمعنى أن ما يقدمه النبي من معارف الوحي للآخرين، عبارة عن غليان بركان وجوده المؤيد والمسدّد، وقطرة من بحر معارفنا ولذلك فإن هذا الغليان وهذا الكلام الوحياني، يكون تابعا له، وليس هو تابعا لهذا الكلام... ولقد كان النبي يمارس رياضة مدة أربعين سنة، ثم تجلت للنبي حقيقة النبوة، وصار منورا كبوذا...!).¹

مما سبق نرى أن الدكتور محمد عماره بدأ يرد على هذه الشبهة رداً جلياً، ويدحض وينتقد كلامه بأسلوبه الذكي والرصين، حيث من خلال كلامه انتقد هذا الأخير سروش، بأنه أله النبي وجعله مصدراً للوحي، والقرآن والرسالة، بعدما أعطاه صبغة الكاشف العارف .

الدكتور عماره أيضاً بيّن أن سروش من خلال كلامه، هذا يكون قد عزل السماء عن الأرض، وأنزل السماء إلى الأرض لأن النبي بدلاً من أن يكون متلقياً للوحي، كان مصدراً له، وهذا بهتان عظيم في شخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وافتراء كبير في حق الوحي الإلهي، لأن المتتبع جيداً لكلامه يعرف أن سروش يريد أن يذهب بفكره إلى أن الله تعالى ليس هو الذي يرسل جبريل، الذي اصطفاه من ملائكته من السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه على سائر البشر .

ويذهب سروش إلى أن النبي، هو من ينزل جبريل عليه السلام، وليس الله هو من يأمره بالنزول فيكون بذلك أنه أله النبي بكلامه هذا، حتى يستقل عن السماء تماماً، بل إلى تبريره إلى أن النبي هو الذي يأمر جبريل بالنزول، وليس الله هو الذي ينزل جبريل، استدلاله على أن النبي هو مصدر هذا

¹ - د عبد الكريم سروش، ، بسط التجربة النبوية، ترجمة أحمد القبانجي، سنة الطبع 2006، دار الفكر الجديد، العراق، ص 197، ص 199

الوحي ومنتجه لا متلقيه، وبرهن على كلامه هذا، واستدل على هذه الهرطقة كما يقول الدكتور محمد عمارة بالآية الكريمة، التي يقول الله تعالى فيها: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) سورة الأنفال الآية 17.

يقول الدكتور سروش معقبا على هذه الآية: (عندما يكون رمي النبي، هو رمي الله تعالى، فيكون قوله أيضا قول الله تعالى ومن هنا، فإن فهم النبي بدوره هو فهم الله، والوحي ليس شيئا سوى نوع من الإدراك الخاص للنبي)¹. ومن حيث كلامه هذا تجاهل سروش انه ليس كل قول أو رمي من النبي هو قول و رمي الله تعالى، بل أن هناك أقول للنبي صلى الله عليه وسلم يكون قد اجتهد فيها، وربما يكون أخطأ فيها، فكل ابن آدام خطأ، ثم يعقب الدكتور عمارة فيقول: (إن الآية " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " تعني أن الأصل هو رمي الله تعالى، الذي يسدد رمي الرسول .فرمي الرسول تابع لرمي الله ...وليس العكس كما قال الدكتور سروش)².

فالدكتور سروش أيضا أراد أن يعزل الوحي عن السماء ويجعل النبي مستقلاً عن السماء أيضا وبذلك يكون قد وصل إلى نتيجة بشرية الوحي ومنه ربطه بتاريخ معين، و الكارثة العظمى أنه ألله النبي لما جعله محيطا بطبقات وعوامل ومراتب جميع الوجودات، فجعله الأمر والناهي والفاعل في جميع هذه الوجودات ويكون بكلامه الخطير هذا قد أنسنا الألوهية، عندما أراد أن يُؤنسن النبوة والوحي والدين ! وهذا لعمرى افتراء وبهتان مبین .

ومن افتراءات سروش الذي لفقها على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرها الدكتور محمد عمارة ونريد أن نلخصها نحن أيضا أنه

¹المصدر السابق ص 243

² - د محمد عمارة، التأويل العبثي للوحي والدين والنبوة، ص 35

كان يقول ويتحدث، في كتابه " بسط التجربة النبوية " على أن الوحي بشري وتاريخي كما هو الدين، وأكد على أن هذا الوحي والرسالة أنهما مصدر من النبي، كما انكر سروش مفارقة النبوة للبشرية كما بينه من خلال كتابه . ويدعي أن الرسول بشرا، رداً على ما تزعمه الثقافة الإسلامية التي نظرت إلى النبي كملك، وأهملت الجانب البشري فيه .¹

ومن خلال تتبعنا لكتابات الدكتور سروش، نلاحظ تأكيده على أن القرآن إنتاج من النبي، هذا البشر العارف، ومنه كان من الممكن أن يكون حجمه أكبر من حجمه الحالي، لو عاش النبي مدة أطول، و إمتد عمره، والعكس صحيح لو كان عاش النبي مدة أقل .

وحول هذا " العبث الفكري "، يقول الدكتور سروش : (فلو أن النبي إستمر في حياته وكان له من العمر أكثر مما كان، و واجه من الحوادث والتحديات أكثر مما وقع فمن الطبيعي أن تزداد ممارسته ومواجهاته للحوادث، وهذا يعني أن يكون أكثر في حجمه من القرآن الموجود).²

فمما سبق و تأييداً، لكلام الدكتور محمد عمارة رحمه الله الذي يرى أن سروش في كلامه هذا، قد أخطأ خطأ جسيماً، وأنه تجاهل بكلامه هذا الحقائق القرآنية التي تنص على أن القرآن الكريم كما هو نصاً موجوداً، ومحفوظاً في اللوح المحفوظ قبل أن ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم نزل منجماً (مفرقاً)، لا بسبب الحوادث التي جرت زمن البعثة ومجتمعها، وإنما لِيُثَبَّتَ الله به فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمام التحديات البشرية، التي واجهت الدعوة الإسلامية، حيث يقول الله تعالى

¹ - د عبدالكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص8

² - المصدر السابق ص 163

: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) سورة الفرقان الآية 32.

والمتتبع في كتاب الدكتور عبد الكريم سروش، يجده يبرر وبشدة إمكانية زيادة أو نقصان القرآن الكريم من الممكن جداً، حيث أنه زعم أن الآية الكريمة التي تقول: (اليوم أكملت لكم دينكم) سورة المائدة الآية 03، لا تعني اكتمال الدين، بل أن القصد منها اكتمال الحد الأدنى للدين، وفي هذا قدح عظيم في أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أحكمت آياته وأنه تنزيل من رب العالمين وأن آياته فصلت تفصيلاً.

ولم أراد أن يبرر كلامه السابق أكد سروش أنه " في مسألة كمال الدين هناك فرق بين الكمال والجامع حيث أن الجامع يعني الشامل لكل شيء، ولكن الكامل يعني أن هذا الدين لا ينقصه شيء من الأدوات والمفاهيم¹ .

والمتمعن جيداً في هذا القرآن الكريم سيجده جمع بين الكمال والشمول، لأن الله تعالى لما قال (اليوم أكملت لكم دينكم) والذي قال أيضاً (ما فرطنا في الكتاب من شيء) سورة الأنعام الآية 38 .

والناظر لحال هذه الأمة التي تفتخر بهذا الدين عندما خرجت من الجاهلية ومن عبادة الأوثان، التي أدخلتها في سذاجة حضرية قبل عصور الإسلام، إنما كان هذا كله بفضل الدين والقرآن، ولم نسمع يوماً أنها شعرت بنقص في هذا الاكتمال والشمول، أو تحدثت عنه في الكتب .

ولو وافقنا فرضاً كلام سروش، أن هذا القرآن توقف في الحد الأدنى كما يزعم أو حتى في حده الأوسط . فلماذا لم نصل إلى قمة الحد الأعلى بعد أربعة عشرة قرناً، من الواقع الذي عشناه والأحداث التي نعيشها من حروب

¹ - د عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص 164

وتكنولوجيا وسياسة دول التي كان من المفترض أن تزيد من حجم هذا الكتاب.

يقول الدكتور محمد عماره ناقداً ومفنداً لهذه الشبهة كلاماً رائعاً: (إذا كانت أحداث مجتمع بسيط هو مجتمع النبوة، قد أنتجت في ثلاث وعشرين عاماً " 6236 آية " هي حجم الحد الأدنى للقرآن كما يقول سروش، فكم كان هو حجم القرآن، الذي كان مفترضا على رأي الدكتور سروش أن تنتجه أحداث خمسة عشر قرناً، في مجتمعات بلغت شأنها بعيداً في التعقيدات والتحديات ؟

أم أن رب العباد حشاه وتنزهه عن ذلك تعالى، قد تخلص عن عباده فتركهم للزمان وتحدياته، دونما هداية ولا حجة ولا تسديد)¹.

ومن خلال ما سبق، يمكن أن نختم هذا المطلب الذي لو أردنا أن نتوسع فيه لأطلنا، حيث نستطيع أن نقول أننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي تكون رداً لهذه الشبهة التي أنسنت الوحي، وألهة النبي، وسار مع ذلك سروش بهرطقاته، فنقول :

أن ما أجمعت عليه كل الشرائع السابقة أن الوحي هو تنزيل إلهي، ينزله الله على رُسله لتبليغ الناس كما ذكر ذلك أحبار الديانات السابقة وعلمائها و قديسيها من خلال ما ذكر الدكتور سروش في كتاباته كقوله مثلاً: (إنني أعتقد أن النبي هو المُشرع للأحكام الفقهية، وأن النبي نفسه هو المقنن لهذه المسائل، وبالطبع فإن الله تعالى أمضى القوانين التي شرعها النبي)².

¹ - د محمد عماره، التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، ص 43

² - د عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص 201

فهو يُقرُّ بأن التشريع نبوي، وأن الذات الإلهية، وضعها موضع من ختم على هذه التشريعات ولا حول ولا قوة إلا بالله . فهو بكلامه هذا يكون مكذبا لمحکم التنزيل الذي لا يقبل التأويل والذي يؤكد أن الشريعة أمر إلهي لا جدال فيه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بإتباعها لقوله تعالى في العديد من الآيات القرآنية حيث نذكر منها :

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فأتبعها) سورة الجاثية الآية 18

وقوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) سورة المائدة الآية 48

وقوله : (واتبع ما يوحى إليك) سورة يونس الآية 109

فالمشرع للأحكام هو الله تعالى، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم، هو المبلغ والمبين والمنفذ لشرع الله تعالى، ومتبعًا له كما أمره .

وفي هذا السياق فنحن، نؤيد كلام الدكتور الذي رد فيه أيضا على الدكتور عبد الكريم سروش، الذي وجهه على شكل سؤال والذي ننتظر إجابته إلى يومنا هذا، حينما قال الدكتور عمارة : إذا كان أمر الله والحق الذي جاء به الدين قد انقطع بوفاة الرسول الأمين، فماذا بقي من الدين الإسلامي وما اسم هذا الدين الذي تدين به ويتدين به المسلمون، منذ وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حتى الآن ؟.

وبأي حق، وبأي حجة ندين ونتدين يا دكتور سروش ؟، أم أننا نعيش زمن " الفترة " منذ أربعة عشر قرنا ؟ .

النموذج الثاني : اللغة العربية لغة شعبية لا فصاحة قرآنية .

المتتبع للغة القرآن الكريم يجد فيه حلاوة، كما قال الوليد بن المغيرة لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً،

ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمرٌ به، وإن أسفله لمُعْدِقٌ، وأنه يعلو ولا يعلى عليه. فإن دَلَّ كلام الوليد هذا فإنه يدل على بلاغة القرآن وفصاحته، ونحن أمة الإسلام لنا كل الفخر، في أن لغتنا اللغة العربية هي لغة القرآن " نزل بلسان عربي مبين " ولكن من المؤسف أن الدكتور عبد الكريم سروش كان له موقف معادي، وغير موضوعي من اللغة العربية لغة القرآن، مع أن الباحث والمتتبع للغة القرآن يجدها تعجز أصحاب البيان والمجاز والإشارة والكناية، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية، استوعبت تراث الحضارات القديمة (إغريقية ورومانية وفارسية وهندية ومصرية بكل فنونها وعلومها)، كما أنها أصبحت لغة العلم وديوان الفلاسفة والمفكرين لأكثر من عشر قرون .

وتواصلت المواقف المعادية للغة العربية، حيث أنه يرى فيها لغة شعبية كما يقول الدكتور محمد عمار، معلقا على ذلك في قوله : بل لقد إمتد هذا الموقف غير الودي للدكتور سروش من اللغة العربية إلى الحد الذي ادعى فيه دعواه غير المسبوقة حتى في إطار النزعات الشعبوية ، أن عربية القرآن الكريم هي أمر عرضي، وليست من ذاتيات القرآن وأن بالإمكان أن يرد النص المقدس، بلغة أخرى غير العربية .¹

ولكن الحقيقة لو تفحصنا القرآن، ولغته جيدا لوجدنا أن الدكتور سروش ارتكب خطأ جسيما من خلال كلامه هذا، لأن اللغة العربية والفصاحة التي جاء بها القرآن هي المخرج الوحيد الذي نستطيع أن نفك به لغز ما جاء به من إعجاز فالله تعالى قال : (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) سورة طه الآية 113.

فالآية دالة على العلاقة الخاصة بين عروبة النص، وبين ما فيه من إعجاز

¹ - د محمد عمار، التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين ص 76

ولوجدنا أن الأمة جمعاء على إختلاف ألسنة شعوبها، تجعل من فقه العربية شرطاً، لمعرفة فقه إعجاز القرآن الكريم ومعرفته الجيدة .

كما يقدح الدكتور سروش، في عروبة القرآن حتى أنه أنكر أن القرآن نزل باللسان العربي، حيث أن العروبة طرئت عليه، حيث يقول " إن القرآن تظهر وتجلى باللغة العربية، التي كانت لغة المحيط الثقافي للرسول ¹ .

فالممتنع لكلامه يجده متناقض، لأن الدكتور سروش قال في بدايات نقده، أن القرآن هو نتاج نبوي، ثم أصبح ينكر أن اللغة العربية ليست لغة القرآن، فمن هنا نستطيع أن نقول للدكتور إذا لم تكن لغة القرآن العربية، فكيف كانت لغة النبي الذي جاء به، ولكنها تناقضات للدكتور تستحق النقد .

والمتمعن جيداً في أسلوب عبد الكريم سروش يجد أنه يميل كثيراً إلى الهيرمينوطيقا، التي اخترع أصحابها فكرة " موت المؤلف " حتى تكون لديهم قراءة النصوص ليست بحثاً خالصاً من أجل معرفة مقاصد المؤلف والمعاني التي يريد لها نصه، الذي أبدع فيه . وإنما من أجل أن يكون القارئ له الحرية المطلقة فيما يريد بالنص الذي قرأه .

ومن هنا رأينا أن هؤلاء الحداثيين الذين اتخذوا من ذلك ذريعة، أنهم طبقوا " النظرية الهيرمينوطيقا، موت المؤلف " فاستباحوا النصوص الدينية وأولوا حقائقها، على ما يحلو لهم، وهذا ما رأيناه في أساليب الدكتور سروش، أو حتى في أساليب أساتذته الذين نهل من فكر حداثتهم، كنصر أبو زيد، وحسن حنفي، ومحمد أركون .

¹ - د عبد الكريم سروش بسط التجربة النبوية ص 195

ولو قرأنا ما جاء في الجدلية الماركسية التي تنص على أن كل مادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها، وأن الفكر كله بما فيه الدين يعتبر انعكاسا للواقع الموضوعي¹.

والقارئ لنصر أبو زيد كما يقول الدكتور محمد عمار، يجد أنه إنطلق من الفلسفة المادية الماركسية والمادية الجدلية والمادية التاريخية، ليفسر الإسلام والوحي والنبوة فنصر أبو زيد أيضا هو الذي يتحدث على أن النبوة ماهي إلا تجربة خاصة، وأنها قوة مخيلة تكون في الأنبياء أكثر من سائر البشر الآخرين، فالنبي يأتي في قمة الترتيب ثم يليه الصوفي، ثم يليه الشاعر.

كما أسند نصية القرآن الكريم للبشر، حيث كان تشكله من الواقع الذي عاشه ذلك النبي، فهو يراه منتجا ثقافي، وجاء في قوله : (إن القرآن كخطاب بشري هو خطاب تاريخي لا يتضمن معنى، مفارقا جوهرياً ثابتاً)². كما سار أيضا على نهجه أيضا الدكتور حسن حنفي، حيث كان يرى هو الآخر أن النبوات، ماهي إلا حلقة اتصال بين الفكر والواقع وأنها ليست غيبية، بل حسية، ويرى الدكتور حسن حنفي أن الإنسان عالم وحي وقادر وسميع وبصير ومريد ومتكلم، وهي صفات خالصة للإنسان ويرى قدرة الإنسان في خلق جزء من ذاته، فهو يستطيع أن يصبح إلهاً ن ويخلق المؤله على صورته ومن ثم يقوم بعبادته .

فهؤلاء الحداثيون الذين تأثروا بالهيرومنوطيقيا، أصبحوا يرون أن الذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

¹ - الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم طبعة بيروت سنة 1974م
² د نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) طبعة الأولى حزيران، دار المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ص 10

والملاحظ في كتابات الدكتور سروش، يرى فيها تأثيرا كبيرا بهذه المدرسة، حيث أنه يعمل على تغليف التفسير المادي للوحي والنبوة ولادين بقشور " عرفانية باطنية " حيث صور لنا أن النبي كان يمارس رياضة كبوذا، حتى تجلت له الحقيقة، و أن الأنبياء يوسوس لهم الملك، كما يتعرض الناس لوسوسة الشيطان .

كانت كل هذه هرطقات هؤلاء الحداثيين، المشكيكين في شرائع ومقومات الدين، والتي أحدثت ضجة في العالم العربي والإسلامي، خاصة ضعفاء النفوس من الناس الذين راحوا ينهقون ورائهم، فأحدثوا علمانية خبيثة في أغلب الدول العربية والإسلامية، وهذه هي قصة التأويل العبثي التي أرادها هؤلاء لحقائق الدين أمثال سروش وأزلامه، الذين من هذه الهرطقات كتب تُدرّسُ في أغلب الجامعات الغربية والشرقية، وهكذا أصبح التأويل العبثي "فنًا" ينافس الجنون في القرن الواحد والعشرين، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

-هرطقة الهيرومينوطقيا في الدراسات الإسلامية المعاصرة :

تمهيد:

لو تقصينا مسيرة التأويل، لوجدنا أنها بدأت منذ نشأة الحضارة الإسلامية، بالقرآن الكريم، كتاب الوحي لأن التأويل جاء ليلج إلى باب التفسير الذي يدرك كُنْهَ الشيء وحقيقته، ومن خلال المطلب سنخرج على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتأويل، ونحاول أن نفسر كيف استخدم الحداثيون وأصحاب الهرطقات هذا التأويل، في الدراسات الإسلامية المعاصرة، وكيف استخدم العلمانيون في هذا المصطلح، في النص القرآني وفي سائر الأحكام الفقهية والتشريعية، وكيف خرجوا بفهمهم عن الطريق الصحيح، وغلطوا العام والخاص، بتضليلاتهم، فنقول وبالله التوفيق .

-مفهوم التأويل :

جاء في لسان العرب للابن منظور(630هـ، 711/1232م، 1311م)، أن التأويل هو إدراك المرجعية والمآل، وما لا يفصح عنه، اللفظ فيحتاج إلى دليل يكشف عن ما وراء الظاهر، فالأول هو الرجوع...وأَوَّلَ الكلامِ وتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ. وجاء في أساس البلاغة للزمخشري(764هـ، 538هـ)التأويل هو العاقبة بمعنى المرجعية والمآل...وتفسير التنزيل .

وفي الإصطلاح: جاء عند الراغب الأصفهاني (502هـ، 1018م) التأويل هو الرجوع إلى الأصل، ورد الشيء إلى الغاية المراد منه، علما كان أو فعلا ففي العلم نحو (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)، وفي الفعل كقول الشاعر :وَلِلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلًا.

العلمانية وهرطقة الهيرومينوطقيا:

منذ عصر التنوير الأوروبي، خلال القرن الثامن عشر الميلادي، باتت العلمانية تسعى إلى "أنسنة" الدين حيث قامت بإحلال الإنسان محل الله وأحلت القارئ مكان الوحي، وجعلت ما توحيه القراءة للقارئ وحيًا، وعزلت هذه الهيرومينوطقيا كل القيم الأخلاقية والدينية عن المصدر الإلهي . يقول الدكتور محمد عمارة: (أقامت قطيعة معرفية كبرى مع الموروث والموروث الديني على وجه الخصوص، حتى بلغت حد الصيحة المنكرة "لقد مات الله"! وبذلك أحلت "الدين الطبيعي" محل "الدين الإلهي" بعد أن جعلت الإنسان طبيعيا وليس ذلك الرابني الذي نفخ الله فيه من روحه ¹. ومن هنا جعل هؤلاء الحداثيين بهذا التأويل الهيرومينوطيقي الوضعي، غلوا باطنيا للنصوص، والأحكام، فأصبحوا لا يفرقون بتأويلهم هذا على النصوص بينما هو متواتر وغير متواتر وبين المحكم والمتشابه، وبين الوحي وغير الوحي، حيث كان يقول في هذا الشأن حسن حنفي: (لا يوجد نص لا يمكن تأويله من أجل إيجاد الواقع الخاص به) ².

فعند هؤلاء الذين زعموا أنهم يؤولون تأويلا باطنيا، حيث أنهم كانوا يظنون أنهم ينقلون بالنص من جسده إلى روحه ولكن الأصل في الهيرومينوطقيا الوضعية أنها تنقل بالنص من روحه إلى جسده فنقلت الدين من الإلهية إلى الطبيعية، ومن الوحي إلى العقل .

فعلم الكلام عندها، هو علم إنساني لا إلهيًّا، حتى أنهم قالوا بأن صفات الله ليست لذاته الواجبة الوجود حيث أنهم، جعلوه اختراعا إنسانيا، تعالى الله عن

¹ - الدكتور محمد عمارة، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، ط1 سنة

1427 هـ أكتوبر 2006، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ص 69

² الدكتور حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، دط، دت، طبعة القاهرة ج 1 سنة 1998م، ص 397

ذلك لأنهم يرون فيه العجز عن تحقيق ذاته :الحية، العالمة، القادرة، المريدة، السميعة، البصيرة، المتكلمة، الفعالة لما تريد¹ .

وهم الذين يرون أن الإنسان الذي اخترع ذاتاً، وأوجد فيها كل الصفات التي عجز عنها الله لإحباطه النفسي فأوجدها الإنسان في ذاته، وحقق بها ذاته وأطلق علة نفسه " الإنسان الكامل " واستبدل هذا المصطلح عن الكلمة العريقة (الله)، لأن هذا الإنسان يستطيع أن يخلق جزء من ذاته، ويؤلِّفه فيستطيع أن يخلق صورة المؤلَّ على صورة الإنسان، فهم أطلقوا الإنسان إلى حد الإطلاق بعدما عمل صفات واختارها ووضعها في صورة معبود تشير إلى أن هذا الإنسان يستطيع أن يؤلِّه نفسه.

يقول حسن حنفي : (وبعد أنسنة الإله تذهب هذه الهيرومينوطقيا، في تطبيقاتها على الإسلام إلى أنسنة الصفات الإلهية، فالصفات السبع هي في حقيقة الأمر صفات إنسانية خالصة، فالإنسان هو العالم والقادر والحي والسميع والبصير والمريد والمتكلموهذه الفات هي الإنسان ومنه على الحقيقة وفي الله إليه على المجاز)².

وبعد " أنسنة الله " لم يتوقف هؤلاء المتعطشون الطائشون بل ذهبوا بهذه الهيرومينوطقيا العبثية التأويلية إلى أنسنة النبوة حيث جعلوا اتصال النبي بالملك هو اتصال الفكر بالواقع، وفي تأويلهم العبثي نفوا الوحي الذي كان ينزل على النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم ولم يجعلوه معجزة أصلا بل جعلوا في الاتصال الذي يكون بين النبي والملك، كما يتصل الشاعر بشيطانه،

¹- دمحم عمارة، قراءة النص الديني، ص 70

²-دكتور حسن حنفي من العقيدة إلى الثورة ن ج2 ص 239

والكاهن بالجان، وجعلوا الفرق بين هؤلاء الثلاثة في الدرجة فقط (أي في قوة المخيلة).

وهم على عكس ما يراه علماء الأمة ومتكلميها، بل حتى فلاسفتها الذين أن أرواح الأنبياء مداد من الجلال الإلهي، لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية .

يقول الدكتور محمد عمارة : (بعد تأليه الإنسان ذهبوا إلى تأليه العقل والاستغناء به وبالحواس عن الوحي)¹.

فالدارس جيدا لهذه الهيرومينوطيقا المعاصرة يرى أن مهمتها بعد تأليه الإنسان وتأليه العقل وأنسنة الله والوحي والنبوة، وعالم الغيب قامت وأعلنت أنه أصبح من الأساسي أنسنة الحضارة الإسلامية وتحويلها من الإلهية إلى الإنسانية، وأنسنة الدين الإسلامي، بإحلال الدين الطبيعي محل الدين الإلهي . ومما سبق يمكننا القول، أن هؤلاء الحداثيين العلمانيين بعد كل الذي قاموا به كان الهدف من ذلك، إلغاء عقائد التوحيد والبعث، والجزاء حتى ولو كانت مجرد فكر إنساني وسارت بهم العقيدة العبثية، إلى أن أصبحت دراسات في الجامعات ومفروضة على الطلاب، بل من الكوارث التي هتفوا بها في هذا التأويل العبثي، الذي كان يجعل من الإنسان خالقا لله، وليس الله هو الذي خلق الإنسان! بل وطالبوا بحذف لفظة الجلالة حتى من اللغة، والاكتفاء بعبارة "الإنسان الكامل " لأنها الأدق تعبيراً .

ومن هنا يمكن أن نستخلص أن الهيرومينوطيقا المعاصرة التي رصعت من الهيرومينوطيقا الغربية، فحاولت العبث بمبادئ الشريعة الإسلامية من

¹-د محمد عمارة، قراءة النص الديني، ص73

الله والدين والوحي والغيب والنبوة، وأعلنوا موت الإله، تعالى الله عما يقولون.

كما فعلت ذلك الهيرمينوطقيا الغربية فأدى ذلك إلى هزيمة النصرانية الغربية ذات يوم، وتحولت أوروبا إلى فراغ ديني، فكان ذاك هو الهدف الذي تصبوا إليه الهيرمينوطقيا العلمانية العربية، بل وحتى في أغلب الدول الإسلامية التي أعلنت "أن العلمانية هي أساس الوحي... وأن الإلحاد هو المعنى الأصلي للإيمان".¹ ولكن هيهات أن يفلحوا (وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

¹ - د حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، 2017/01/26، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة بريطانيا، ص 69

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان وصلى الله وسلم على خير الأنام أما بعد:
فقد توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى أهم النتائج والتي أجمالناها في
ما يلي :

أولاً:

- 1- يرى الدكتور محمد عمارة أن الحداثة غريبة على العالم العربي، فهي مستوردة من العالم الغربي.
- 2- ويرى أيضاً أن الحداثة مذهب عقدي فلسفي باطني يسعى إلى تحديث مصادر التلقي وما جاءت به من عقيدة وشرعية .
- 3- بين الدكتور محمد عمارة أن الحداثيين في بعض الدول العربية يَسْتَتِرُونَ على بعض دعواتهم بالرمزية والغموض، أو الإدعاء بأن الحداثة لا تعنى بالمضامين العقدية. وإنما بالأشكال الأدبية ونحوها .
- 4- ينظر الدكتور محمد عمارة إلى أن للحداثة دعاة وأتباع كثر، انتشروا في الدول العربية وتغلغلوا في الكثير من المؤسسات والدوائر الحكومية، والمراكز العلمية والثقافية وبخاصة وسائل الإعلام، والأندية والمهرجانات، وبالتالي استغلوا هذه الوسائل في نشر أفكارهم الثورية .
- 5- ويرى كذلك أن الحداثة تقوم على عقيدة صراع الأضداد ومبدأ النقيض، فالحداثة عندهم هي صراع الفكر الحديث مع العقائد القديمة، كما أن الحداثة لا بد أن تتصف بالمخالفة والمناقضة لكل ما هو قديم أو سائد ومألوف.
- 6- الجهر بالنقد لأولئك الذين استلذوا التقليد و التبعية، والمنتمين الى الاسلام و العروبة.

7- يجب على الباحث العربي أن يتسلح لهدم المشروع الحداثي المعاصر، لما انطوى عليه من افات ومفاسد، بشتى مللها ونحلها الوافدة، التي جرفت الكثير من العقول العربية.

ثانياً:

من خلال تتبعنا لنقد الدكتور محمد عمارة لأهم القضايا الحداثية المعاصرة اتضح لنا، مدى خطورة هذه الأفكار والمذاهب المعاصرة الهدامة، التي تأثرت بها شريحة واسعة من الطبقة المثقفة من الكتاب والأدباء، والذين بدورهم ساهموا في التأثير على الطبقة العامة للمجتمع العربي والإسلامي، وذلك ببث سمومهم وأفكارهم، التي تدعو إلى الانسلاخ من التراث والموروث الديني والمبادئ والقيم الإسلامية، والسعي إلى تبني أفكار تدعو إلى الحرية والانعتاق من المعايير والضوابط الشرعية، التي حددت طبيعة المجتمع المسلم، والدعوة إلى انتهاج مبادئ فكرية واقتصادية دخيلة، لا تصلح لمجتمعاتنا المسلمة، كالماركسية الاشتراكية والعلمانية التي أثبتت فشلها في عقر دارها، والتي تدعو إلى الإلحاد، واللا دينية والنظرة المادية للحياة، وفكرة موت الإله، وتحرير المرأة من القيود، وفي نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى النتائج التالية:

- 1- إن الماركسية والعلمانية وجهان لعملة واحدة وسكين ذو حدين، أرادت به الدول الغربية القضاء على النزعة الإسلامية والحضارة العربية.
- 2- يبين لنا الدكتور محمد عمارة لنا، أن العلمانية لم تأتي من العدم، والذي تسعى إليه، ليس من فراغ، إنما غايتها، حينما ترى أنما تسعى إليه تحقق ولكن الله يمكر وهو خير الماكرين.

3-إن معاول الهدم التي أصبحت تتبجح بمقولات الحداثة والعلمانية والأنوار الأوروبية وتظهر في كل مناسبة كناقذ متمرس للخطاب الديني تسعى أن توجه سهام النقد إلى كل ما من شأنه أن يهدد ثقتنا وقيمنا وحریتنا وهویتنا، فليس مشكلتنا دينية فحسب بل هي تتوزع إلى أدبية وأخلاقية وعلمية وفنية وسياسية.

4-كشف الدكتور محمد عمارة زيف هؤلاء الحداثيين الذين يدعون ويرفعون شعارات المساوات بين الرجال والنساء، ولكن حقيقتهم كانت عكس ذلك .

5-دعوة تحرير المرأة عند الحداثيين لا تختلف على دعاوى، تحريرها عند الغربيين، والذي كانت لهم نفس الأهداف .

6- إن لله رجال، دائما بالمرصاد لمثل هؤلاء الغالين والمبطلين والمنتحلين المشوهين للدين، فكما ظهر أمثال حنفي وآركون ونصر أبو زيد، سخر الله وقیض أيضا جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والحارس الیقف على الإسلام والدين الدكتور محمد عمارة، فنصر الله الدين بهؤلاء الغیورین، على أولئك الحاقدين أصحاب النزعة الغربية فلم ينالوا منها إلى العبودية لها، والتهيه والظلال.

وأخيرا هذا جهد المقلّ ونسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، موافقا لشرعه الحكيم وأن ينفع به من قرأه .

وأخير دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التوصيات

- وبعد هذه الجولة العلمية السريعة حول واحد من أعلام أمتنا الدكتور محمد عمارة، ننوه إلى ضرورة الأخذ بهذه التوصيات:
- 1/ ضرورة الاهتمام بكتابات الدكتور محمد عمارة على المستوى الأكاديمي بحثاً وتحقيقاً.
 - 2/ يعتبر محمد عمارة نموذجاً معاصراً يمكن الاستعانة بدراساته في مواجهة الحملات العلمانية والحدائية. خصوصاً كونه عارف بالعمق الفكري للحضارة ومتبني له في حلقات سابقة من حياته، ثم ناقد له.
 - 3/ عقد مؤتمرات وندوات علمية متخصصة تهتم بنقد محمد عمارة للحضارة الغربية في قضايا الخلاف الحضاري المهمة .
 - 4/ يجب أن لا يبق فكر محمد عمارة حبيس المكتبات والدراسات الأكاديمية دون تفعيل هذه الاسهامات في الحركية الحضارية للمجتمعات الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم رواية حفص.

1- محمد عمارة، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي - مكتبة الشروق الدولية القاهرة مصر - ط 1 سنة 1427هـ / أكتوبر 2006م.

2- محمد عمارة، هذا هو الإسلام، ط 1، سنة 1426هـ، ديسمبر 2005م، مكتبة الشروق الدولية مصر .

3- محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام بدون تاريخ الطبعة وسنة النشر، دار نهضة مصر، القاهرة.

4- محمد عمارة -معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دت دون سنة

5- محمد عمارة، الإسلام والآخر - د ط مكتبة الشروق الدولية، مصر سنة 2001م .

6- محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحدثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 1 سنة 1423هـ - 2003م

7- محمد عمارة مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحضارة الغربية، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - مصر - ط 1 سنة 1423هـ - 2003م

- 8- محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام- ط1 سنة 1414م، 1996م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت.
- 9- محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، ط2 1422هـ-2002م، دار الشروق -القاهرة- مصر.
- 10- محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة الإسلام، ط1 سنة 1431هـ-2010م دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع، مصر
- 11- محمد عمارة، شبهات واجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط1، مارس 2008 نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
- 12- محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ط1، دار مكتبة البخار، القاهرة، سنة 2009م
- 13- محمد عمارة، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، ط1 سنة 1427هـ- أكتوبر 2006، مكتبة الشروق الدولية-القاهرة -مصر.
- 14- محمد محمود كالو، الحارس اليقظ على تراث الإسلام الأستاذ الدكتور محمد عمارة د.ط. دار المجد 1421هـ.
- 15- أحمد فرج، علماني وعلمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد 02 ص 101-110 سنة 1986.
- 16- أدونيس على أحمد من المفكرين العرب سعيد، فاتحة لنهايات القرن - ط1 دار العودة بيروت لبنان سنة 1980/03/1.

- 17- ابراهيم بن عمر السكران، التأويل الحداثي للتراث، ط 1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2014م.
- 18- عبدالغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر مقارنة حوارية في الأصول المعرفية . الهيئة المصرية العامة، مصر، د. ط، سنة 2005م.
- 19- عدنان رضا النحوي الحداثة في منظور إيماني ط 3 سنة 1989م - 1410هـ دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية.
- 20- عبد السلام بوزبرة، طه عبدالرحمان ونقده للحداثة دار جداول للنشر والتوزيع بيروت لبنان ط 1 سنة 2011.
- 21- عبدالله النديم مجلة الأستاذ العدد 22 29 جمادي الثانية 1310هـ.
- 22- عبد الرحمان عميرة ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ط 4، دت، دار الجيل بيروت.
- 23- عبد الحليم محمود أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة ج 2 طبعة الكويت تاريخ 1410هـ.
- 24- عادل بن حسن الحمد، المرأة بين الإسلام والعصرانية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند عصرانيين ط 1 مؤسسة الدرر السنية للنشر، الكويت سنة 1433هـ.

- 25- صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمار، طبعة القاهرة، دار نهضة مصر، سلسلة في التنوير الإسلامي سنة 1999م.
- 26- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، وجهة العالم الإسلامي، إعادة طباعة سنة 1423هـ - 2002م - ط 1 1986م دار الفكر دمشق سوريا .
- 27- محمد برادة، اعتبارات لتجديد مفهوم الحداثة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2006م.
- 28- محمد الشيك، هايدغر وسؤال الحداثة، د. ط , المغرب, سنة 2006 .
- 29- محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط 1 المركز الثقافي العربي، بيروت سنة 1998م.
- 30- محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ط 1، سنة 2008.
- 31- محمد عمار، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ط 1 سنة 2003م دار الشروق.
- 32- سعيد بن ناصر الغامدي -الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - ط 1 سنة 2003م - دار الأندلس الخضراء -جدة المملكة العربية السعودية .

- 33- طيب تيزيني، الإطار النظري والمفاهيمي، من ندوة الحادثة وما بعد الحادثة بمشاركة مجموعة منشورات جامعة فيلادلفيا. عمان ن الأردن، ط1 سنة 2000م
- 34- حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، دط، دت، طبعة القاهرة ج 1 سنة 1998م
- 35- داود سليمان بن الأشعث السيجستاني، سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج 4 المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان.
- 36- وليد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج 2 طبعة القاهرة سنة 1974م.
- 37- عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ترجمة أحمد القبانجي، سنة الطبع 2006، دار الفكر الجديد، العراق.
- 38- هشام شرابي، النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ن ترجمة ماهر شريح، دار نلسن، السويد، ط 4 سنة 2000م.
- 39- نصر أبو زيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، د ط، طبعة القاهرة سنة 1990 م .
- 40- نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني، دط، طبعة القاهرة، سنة 1992م.
- 41- نصر حامد أبوزيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) طبعة الأولى حزيران، دار المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان .

42- يوسف القرضاوي، أعداء الحل الإسلامي، ط2 مكتبة وهبة، القاهرة مصر، 2004م.

43- الصحف والمجلات:

44- أمبل بولا - الحرية .العلمنة (حرب شطري فرنسا ومبدأ الحداثة) منشورات سيرف باريس 1987م .نقلا عن هاشم صالح. مجلة الوحدة المغرب عدد فبراير مارس 1993م.

45- فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقضات الحداثة، الراسد، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد 169 شوال 1483هـ - الخميس 22 يونيو 2017م.

الرسائل الجامعية:

1- محمد بن أحمد عبدالعزيز العلي رسالة دكتوراه بعنوان الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة الرياض المملكة العربية السعودية سنة 1414هـ - 1994م.

2- جوادي الجيلاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، نقد الحداثة الغربية عند طه عبد الرحمان، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، تاريخ المناقشة 2017/05/1م.

المواقع الإلكترونية:

1- مقال الكتروني بعنوان العالم الجليل د محمد عمارة الحارس الأمين لشعر الفكر الإسلامي <https://www.ikhwan.online/article>

3- مقال بعنوان الدكتور محمد عمارة موقع قناة الجزيرة

4- بتاريخ <https://www.aljazeera.net/2015/09/22>

5- موقع معرفة، آخر تعديل بتاريخ 2020/03/03م على الساعة 13:06

<https://www.marefa.org>

6- موقع قناة الجزيرة بتاريخ

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/9/22>

7- رابط الفيديو بعنوان الخلط بين الحداثة وتجديد الخطاب الإسلامي -

الدكتور محمد عمارة سؤال وجواب 2016/12/18.

[https://www.youtube.com/watch?v=4Ofeta_PKpo&ab_chan](https://www.youtube.com/watch?v=4Ofeta_PKpo&ab_channel)

nel

المعاجم والقواميس:

- 1- حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط3 سنة 1414هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت -لبنان ج 2 1414هـ بيروت لبنان .
- 2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، سنة 2005 م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان -
- 3- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح : عبدالسلام العرباوي، ج 4 القاهرة دت، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- 4- صفدي مطاع :نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط، ج2
- 5-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان ، ط 1، سنة 1982، ج 2
- 6-أندرية لالند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، -بيروت-، باريس، ط2 سنة 2001، ج 2
- 7-فيكتور برومبير غوستاف فلوبير ترجمة غالية شملي، سلسلة أعلام الفكر العلمي المعاصر، ط 1 لبنان 1978م
- 8-الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفييت بإشراف م روزينتال :ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة 1974م

الفهرس

شكر وتقدير	
إهداء	
الملخص	
المقدمة	أ
المبحث الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات	
المطلب الأول: ترجمة للدكتور "محمد عمارة":	11
المطلب الثاني: تعريف الحضارة الغربية وأهم ملامحها	29
المطلب الثالث : تعريف الحداثة الغربية وأهم ملامحها	44
المطلب الرابع : نماذج من الشخصيات العربية الحداثية	61
المبحث الثاني: نماذج نقدية لأهم القضايا الحداثية المعاصرة	
المطلب الأول : نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية	67
المطلب الثاني : نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية	74
المطلب الثالث: نقد لشبهات حداثية حول مكانة المرأة في الإسلام	82
المطلب الرابع: نقد محمد عمارة للحداثيين في موقفهم من النص الديني	101
الخاتمة	119
التوصيات	122
قائمة المصادر والمراجع	123
الفهرس	131